

ضد السائد
عبد الكريم الدخين

الشرط المستحيل
م. أحمد حسن

عقول شاذة
سامي أحمد الزين

أصل الخرافات
محمد صالح الهبيلي

لماذا نحب قراءة الروايات؟
أ. الجوهرة بنت متعد العتيبي

الوجه الطيب للجمال!!
أمل الصالح

لمحة عن الاستراتيجيات
سفيان ناصر الله

جدار اللوبي الإعلامي من يقبع خلفه؟
حواء آل جدة

الأوتار الفائقة
مصطفى قديح

كيف تكتب ١٠ آلاف كلمة في اليوم؟
خيال خالد

شخصية العدد
رفيس محمد (عماد الدين)

مقابلة العدد
نعوم تشومسكي

لبناء فكري متجدد

مجلة تعنى بإثراء
المحتوى الفكري
الشبابي في
مختلف مجالات
الحياة العصرية
بأسلوب حديث
يراعي التنوع في
درجة التناول بين
ما يناسب القارئ
العادي والمتخصص



تصدر عن مركز دلائل
الرياض - شمال مخرج 5
طريق الملك عبد العزيز

المشرف العام
أ.د. خالد بن منصور الدريس

رئيس التحرير
عبدالله بن حمد الركنف

مدير التحرير
م. أحمد حسن (أبو حبه الله)

- افتتاحية العدد أسرة التحرير ١
- الوجه القبيح للجمال أمل الصالح ٣
- ضد الساذ عبد الكريم الدخين ٧
- لماذا نحب قراءة الروايات ؟ الجوهرة بنت مقعد العتيبي ١١
- الشرط المستحيل م. أحمد حسن ١٧
- جدار اللوبي الإعلامي من يطبع خلفه ؟ حواء آل جدة ١٩
- إبداعات فنية الفنانة: أمل علي آل شبلان ٢٣
- مقابلة العدد نعوم تشومسكي ٣٣
- كيف تكتب ١٠ آلاف كلمة في اليوم ؟ ترجمة: خيال خالد ٣٩
- كتب مختارة فريق التحرير ٤١
- عقول شاذة سامي أحمد الزين ٤٧
- الطريق الثالث عبدالله أحمد الفرخان ٥١
- أصل الخرافات محمد صالح الهبيلي ٥٥
- شخصية العدد رفيس محمد (عماد الدين) ٥٩
- الأوتار الفائقة مصطفى نصر قديح ٦٣
- لمحة عن الاستراتيجيات سفيان ناصر الله ٦٧

المجلة لا ترقى كامل المحتوى بقدر إتاحة الفرصة لهواهب وخبرات الكتابة في الظهور

للتواصل وإرسال الملاحظات أو المقالات المقترحة : Dalailcentre@gmail.com



افتتاحية العود

أسرة التحرير





مع تسارع كم المعلومات المتدفق يومياً عبر الإعلام المرئي والمسموع والمقروء خاصة وسائل التواصل الاجتماعي، يحتاج المرء لوجبة معرفية دسمة تضعه على طريق فهم الأحداث ومجريات الأمور في شتى المجالات من حوله، الثقافية، الاجتماعية، الدينية، الاقتصادية، العلمية، الفكرية وغيرها... وذلك بأسلوب عصري شيق يجمع بين خفة المعلومة وسلاسة الطرح، وبين التخصص في التناول بعيداً عن السطحية وزخارف الأمور.

ومن هنا كان التفكير في تقديم هذه المجلة لنحجز بها مكاناً (نرجو له الريادة بإذن الله) في مكتبتنا الشبابية الهادفة، واخترنا لها اسماً يعبر عن فحوى مواضيعها وكفاءة كاتبها ألا وهو (أوج)، فأوج كل شيء دوماً يشير إلى أعلاه وذروته وقمته وارتفاعه، وهذا ما نأمل تقديمه لقرائنا في صورة (بناء فكري متجدد) يواكب كل حديث.

لن نطيل عليكم في هذه الإطالة التي سنلقاكم بها كل ثلاثة أشهر حتى نفسح المجال لقراءة متأنية لمقالاتنا التي ستتنوع بين السهل والمتخصص، بين القصير والمتوسط، والتي لم ننس فيها إشباع روح الجمال والحكمة بين كل أركانها، إيماناً منا بتكامل جوانب النفس بين المعلومات المادية وبين ما يشبع حاجات الإنسان المعنوية...





الوجه القبيح للجمال

أمل الصالح

باحثة ماجستير في العقيدة والمذاهب المعاصرة، مهتمة بالشأن الثقافي

أقول: نعم، إن المرأة مخنوقة بالثقافة السورية التي يضع الإعلام معاييرها ويصدر مشاهيرها من ممثلات هوليوود وغيرهن كثير من مشاهير المطربات ورموز السيدات من الطبقة الثرية، فتطارد النساء هذه المعايير المزيفة في لهث دون أن ينتبه إدراكها إلى أن ما يعرضه الإعلام معدّل عليه، مُسلط خلاله شتى أنواع الإضاءات والألوان وأدوات التجميل والزيّف السينمائي، ولا تفتأ المرأة تلتهب بعشق البحث عن جمال تلك الصورة المثالية وجمال ذلك الجسد الأفلاطوني، هذه المعايير المزيفة خلقت في ذهنية النساء غمطاً وشكلاً معيناً للجمال، جعلتها كلما نظرت إلى المرأة كرهت وجهها واشمأزت من جسدها وتقززت من لونها، لأنها مهما كانت جميلة فهي ترى نفسها قبيحة.



إلا أن المرأة اليوم
مسجونة دون أن
تعني بفعل الجمال.
عجباً: وهل يسجن
الجمال المرأة؟

لأن معايير الجمال التي تبحث عنها غير واقعية، فالمرأة اليوم تهتم بإنزال وزنها وتنحيف خصرها وتكبير ثديها ونفخ شفثيها أكثر من اهتمامها بالنجاح أو تمييزها في العمل أو شئونها الأسرية أو حتى في إيجاد الحب ذاته، فهايك عن أن الوزن والشكل المشالي لا يمكن تطبيقه على أرض الواقع، وهذا يفسر سبب الاضطراب الغذائي لدى

لا أظنني سأبدل اعتقاد أي إنسان تجاه (روعة الجمال) وما يمثله من رغبة شعورية بالصراخ جذاً وانتشاءً، أعني كونه كامن في النفس ومُسعد، ومع ذلك لا يمكن التعبير عنه بأدوات اللغة. الجمال هكذا حين ننطق به يتدفق في الروح إحساساً لذيذ يصعب وصفه، فكيف بمشاهدة الجمال؟ أو ممارسته أو لمسه أو شمه أو الإحساس به أو حتى صنعه؟ لا ارتياب من محض خيبرته ولا شك في هيمنته وسلطته.

معلوم أنه بزغ علم الجمال في أواخر القرن الثامن عشر، ومع تقادم الأزمان وتغير المكان واحتكاك هذا المصطلح بتضاريس الظروف والعادات والقوانين صار يعرف بعلم التعرف على الأشياء من خلال الحواس، وقد نجانب الصواب إذا قلنا إن معايير الجمال تعتمد على الحواس فقط، وإمّا على إدراك شعوري أيضاً تنغمس فيه لذاذد الروح والعقل، فتغدو تلك اللحظة الجمالية فيض من معانٍ متألّثة.

أتحدث هنا عن الجمال من وجهة نظر نسائية، لأن الناظر والناظرة للحراك النسائي اقتصادياً في الشراء والاقتناء والامتلاك والاستهلاك يدرك أن خلف هذا الهوس الجمالي نية التمثّل به بشغف، والمطالبة به بعنفوان، والرغبة الجانحة في البقاء على قمته بصلاية مهما كلف الأمر.

نعم قد تكون المرأة انتصرت على بعض المعوقات المادية والقانونية فأتيح لها في هذا العصر ما لم يكن معترفاً بأحقّيتها له في أعصارٍ سالف، إلا أن المرأة اليوم مسجونة دون أن تعني بفعل الجمال. عجباً: وهل يسجن الجمال المرأة؟

ويوصلها لكره الذات الناتج عن الفشل المحتوم للوصول للصورة المثالية، لماذا؟ لأنها تطارد معايير شبحية لا وجود لها إلا في تصورات الشعراء وإبداعات منتجي الأفلام ومحترفي تعديل الصور.

المرأة اليوم تبحث عن جسدها وسط أجساد الممثلات وعن أنفها وسط أنوف الشقراوات وعن خصرها وسط خصور المغنيات.



تأثرت Kate Winslet إحدى ممثلات هوليوود بكتاب (خرافة الجمال)، فقامت برفع قضية على إحدى المجلات التي أظهرتها أنحل مما هي عليه [٤] لأنها ترى هذا التغيير تزييف للوعي النسائي وتدجيل لمعايير الحسن والجمال، ما يدفع الكثير منهن لاضطراب التغذية والإصابة بالاكتئاب لأنهن يبحثن عن معيار وهمي غير موجود، أرادت الممثلة Kate أن تظهر كما هي لتكون معياراً واقعياً يستطع النساء الوصول له في سبيل تحسين العلاقة الجمالية بين النساء وأجسادهن التي باتت اليوم تعاني اغتراباً موحشاً وافتكاً غير مبرر، وقد عبرت Kate عن رفضها لتواجد أمثال هذه المجلات في بيتها خشية أن تقرأها ابنتها الصغيرة. وأتساءل: هل جلبت هذه المعارك الجمالية السعادة للنساء؟ أم ازداد بؤسهن؟ إن هذه المعايير الزائفة لم تؤثر على النساء فحسب، بل أثرت حتى على نظرة الرجال للنساء، فصار الرجال لا يرون الجمال في نساء الواقع لأنهم يقارنونهن بمعيار مزيف، مجده الإعلام وسيده المجلات وصدرته الأفلام، فصار الكثير من الرجل لا يطلب شريكة حياة، بل يطلب شكلاً معيناً وقالباً محدداً يعتقد أنه ما ينبغي أن تكون عليه زوجته، ويربط سعادته فقط بقيمة الشكل والصورة، ويطلبها بالبقاء دوماً على هذا المستوى المُنمط، ما يخلق عدم الرضا من جهته إن تقدم بها العمر، وقلق البال وعدم الثقة من جهتها، ما يعني إغراقها في وحل التشكل بمعايير الإعلام المرئي، وإشغالها عن أي مشاركة مجتمعية تحقق بها ذاتها.

فصار الرجال لا يرون الجمال في نساء الواقع لأنهم يقارنونهن بمعيار مزيف، مجده الإعلام وسيده المجلات وصدرته الأفلام.

كثير من النساء، وسبب الاكتئاب المتكرر والانتكاسات الحادة بعد وأثناء كل رجيم غذائي. حسناً: لماذا كل هذا؟ لأجل الحصول على خرافة الجمال، فبحسب إحصائية أعلنتها الجمعية الدولية للجراحة التجميلية نُشرت في صحيفة المواطن [١]، فإن المملكة السعودية تحتل المرتبة الأولى عربياً من ضمن أكثر ٢٥ دولة في العالم تنتشر فيها عمليات التجميل، وقد أفادت في ذات الخبر الدكتورة ناهدة الزهير أن ٩٠% من السعوديات غير راضيات عن مظهرهن وجمالهن الخارجي، موضحة أن مدينة جدة لوحدها تضم ٤٠٠ عيادة تجميل.

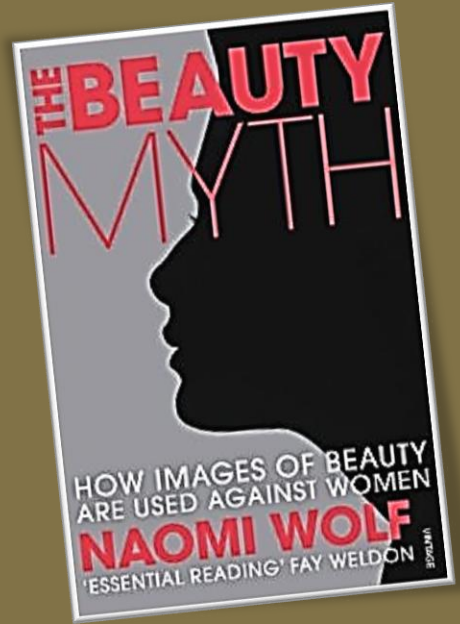
تقول ناعومي وولف Naomi Wolf في كتابها (خرافة الجمال) The beauty of myth: "في الوقت الذي استُبعدت فيه بعض الممارسات، وأُلغيت بعض القوانين المقيدة لحرية المرأة، غُمت بشكل خفي قيودٌ جديدة وحلت محلها" [٢]، ضمن تلك القيود ربط قيمة المرأة بجمالها وشبابها وفتوتها، ما يعني أن تقدمها في العمر يعني هبوط قيمتها وتشويهاً (أي تصوير سلعة تغلو وترخص مثل باقي الأشياء)، وهذا ما أَرْضَخ النساء لدفع المبالغ الطائلة في سبيل البقاء على قيد الجمال ولو كان مزيفاً، وهذه بالطبع خدمة مُسداة لصعود متاجر التجميل ناصية الثراء.

إن المرأة بهذا الهوس اللا متعقل في مطاردة الجمال الذي يوهمها به الإعلام كل ما تقوم به هو تأخير موعد الخيبة التي تنتظرها، تلك المرحلة اليائسة التي ستخامرها حين يسرق الزمن من عمرها السنوات، ليقول جسدها الحقيقي كلمته، ولينطق وجهها الحقيقي صدقه.



وإثبات مقدرتها الثقافية وبراعتها الاقتصادية وإمكاناتها السياسية، المرأة اليوم تبحث عن جسدها وسط أجساد الممثلات وعن أنفها وسط أنوف الشقراوات وعن خصرها وسط خصور المغنيات. ووفقاً لـ Wolf فإن: "هذه الضغوط الإعلامية والمرئية للبحث عن الجمال يجعلها تخفق اجتماعياً واقتصادياً وسياسياً" [٣]، بل

إنني إذ أَسْتبدل كلمة (عُمال) في مقولة كارل ماركس Karl Marx الشهيرة بـ "يا (نساء) العالم اتحدوا"، فإني لا أقصد منها ضد الرجال، إنني ممّن يستسخر هذه النظرة النسوية الموعلة في تطرفها، بل وتقززني هذه الحرب الجنوسية الطاحنة بين النوعين، إن كل ما أعنيه بهذه الكلمة أن تناضل النساء في ميدان الثقافة العامة، وألا تسمح للإعلام بأن يُوْطّر حياتها وفق معايير المزيفة، وأن تخلق معيار جمالها كما تراه هي لا كما يراه الآخرون، أن تحب وجهها وجسدها كما هو، وألا تكون جسداً يُستخدَم. ذلك ليكون التنافس في هذا العالم شريفاً بما يحمله الإنسان ذكراً أو أنثى من جوهر خلاق، لا بوصفه شكلاً أو صورة أو شيئاً.



ناعومي وولف Naomi Wolf كاتبة وناشطة أمريكية تعمل مستشارة سياسية، وقامرس الكتابة غير الروائية. برزت وولف على الساحة عام ١٩٩١م بعد تأليفها لكتاب (خرافة الجمال) The Beauty Myth الذي لاقى إعجاباً، ومن ضمن الكتب الأخرى الأكثر مبيعاً لها كتاب (نهاية أمريكا) The End of America.

المراجع

- [١] عمليات التجميل في السعودية أرقام صادمة وحقائق مجهولة.
- [2] The beauty myth p.22
- [3] The beauty myth p.9
- [٤] كان ذلك في ٢٠٠٣م على غلاف المجلة الرجالية البريطانية GQ



جزيرة بورانو

تفصل بينها ممرات مائية تتخللها كباري تربط بينهم، وترجع عادة تلوين المباني إلى عصور قديمة حيث كان الصيادون يعتمدونها ليميزوا بيوتهم بسهولة في أيام الضباب أثناء عودتهم، ومنذ ذلك الوقت وقد صار تلوين المباني تقليداً متبعاً إلى أن صار اليوم رسمياً هناك يتم تقديم طلب له ومقترحات للألوان.

لعلك إذا نظرت إلى أحد هذه المباني منفرداً لرأيتة غريب الشكل بلونه الفريد الذي لا يفعله الناس عادةً، ولكن المباني بأكملها وبجوار بعضها البعض تصنع لوحة جمالية أكثر من رائعة.. إنها جزيرة بورانو Burano island التابعة لمدينة البندقية Venice الإيطالية، وهي في الحقيقة تتكون من ٤ جزر صغيرة



ضد السائد

عبد الكريم الدخين

باحث شرعي، مهتم بالقضايا الفكرية

"أنتم قطع.."، كتبها ذلك الحساب الذي لا أدري جنس صاحبه ولا عمره، لكنني رأيت الصورة التي وضعها، لوحة تحوي تحفة فنية رائعة، مجموعة من الأشخاص بعضهم خلف بعض ينتظمون في طابور صامت لا حياة فيه، لا ملامح لهم، أوزانهم متساوية وسقف أطوالهم واحد، يبدو أنهم يمشون إلى المجهول، إلى قدرهم الذي لا يعرفون، وفجأة خرج من بينهم أحدهم، كان يشبههم ينتمي إليهم ولكن قرر فجأة أن لا يستمر، لكن كانت روابطهم تمنعه ويبدو أنها كانت ترفض اعتاقه منها.

مفروضة وعلاقات دولية مؤطرة، ومحددات لكل معايير القيم وفق حضارة معينة نشأت في ظروف وشروط تاريخية معينة، ونرضخ لقوتها قسراً، هي مَنْ شكلت معنى خاصاً بها عن الإنسان ثم فرضته على العالم ثم تحدثت باسمه، أنجبت ثورة على دين مُحرف فعممت ثورتها على الأديان كلها، خرجت لتقول للخرافة لا تدخلت في خرافة التعميم على كل ما يخالفها بالخرافة، فرضت نظمها في الاجتماع ومعاييرها حتى في الجمال، لتقول لكل مخالف: مكانك جهنمي، ولكل موافق: أنا أصنع لك جنتك على عيني، اختلف كما تريد إلا مع قيمي وحضارتي، اخترق أي سائد إلا ما فرضته عليك من قوانيني.. أنا جعلت لك الحقوق التي اخترعتها وفق شروط تقديمي وقوتي، وأنت عليك المطالبة بها والسعي إليها ومحاربة قومك لأجلها من غير حتى عقلنتها أو نقاشها.



لقد سعى للخروج على سائد صغير هو أصلاً يشكل خروجاً على السائد العملاق الذي يريد الخروج إليه! أليس بهذا قد أصبح في قطيع أكبر؟!

لو رجعنا إلى الوراء قليلاً لعصر النهضة الأوروبي، لوجدنا أن الحالة الأولى التي أوجدت روح الحضارة الحديثة وأسست لكل ما وصلت إليه هي عندما رجعوا للحضارات القديمة التي هي أصلاً متغلغلة في كياناتهم الثقافي ولها جذور في اللاهوت المسيحي المحرف، النزعة الإنسانية بدأت بالترجمة لليونانية والرومانية وإحياء الفنون ونشر آداب تلك الحضارات، لقد كانت منتمية لحضارات سكنت محيطها الجغرافي وتجزرت في كياناتها المعرفي، مع أن الحضارة الإسلامية كانت موجودة إلا أنها لم تكن رافداً أساسياً في البداية على الأقل، وإن كان تأثير ابن رشد له ما له. وحينما جاء عصر التنوير اشتعلت الحركة الفكرية المقاومة للسائد

الصورة معبرة، نعم.. لماذا نكون كقطيع الخراف؟ لماذا نضطر أن نبقي كالدواجن في الحظيرة؟ يجب أن نخرج.. تمَاهيت معه، لكنني تفاجأت أني أنا المعني بكلامه!
أنا جزء من القطيع؟!
لماذا؟ ما السبب؟
سألته بلهفة.. قال: لأنك تأخذ بفتاوى فقهاء القرون الوسطى، وتسلم عقلك لرجال الدين.

لحظة هل هناك (رجال دين) عندنا؟ لأني منذ سنين أطلب العلم الشرعي ولم أصادف هذه الكلمة مصطلحاً ومعنى؟ أم هي كلمة ولدت وتطورت عند غيرنا وأشكلت عليهم فنقلت إلينا وهي ليست في قاموسنا.. نعم، نقلت إلينا؟ أي مَنْ رضي بها منا فقد (قلد فيها غيرنا)، بمعنى أنه من القطيع بحسب تعريفك للقطيع بأنه مُطلق الاتباع..

هنا مفارقة بيننا، مَنْ هو متبع القطيع؟!
الواقع أن المسألة خاضعة لمعيار ذاتي غير موضوعي، حجة عاطفية تستخدمها وأستخدمها، شيء أشبه بكهف أفلاطون، أداة ممكن أن نضرب بها الآخر بسهولة.

أنا متفق معك بأن زلزلة النسق إن كان مهترئاً والتعدد في الرأي إن كان وفق معايير موضوعية ومقاومة التيار إن كان على خطأ أمر مهم ودليل وعي، لكن إن قلنا أن الانعتاق من القطيع جيد بالمطلق هل يعني هذا أن الخارج من النسق ومخترق السائد غير متبع لقطيع آخر حسب المعنى المجمل والمبهم للقطيع والسائد؟ لننظر في الأمر جيداً وبدقة، هناك دولة فيها آلاف القرى والمدن، كل تلك المدن والقرى تسير في نظام واحد، تحتكم لأطر واحدة، وتنظم في سلك قيمي وسلوكي واحد وإن كان بألوان متعددة، فقط هناك قرية خارجة عن هذه المنظومة، هذه القرية ضعيفة ولكنها معتزة جداً بخروجها وانتمائها لذاتها ولجذورها، فجأة خرج من مجتمع هذه القرية مَنْ يقول لنحارب السائد عندنا، يجب الخروج على نظام القرية، أعتقوا عقولنا..

حسناً، إلى أين تريد الذهاب؟
قال: أريد أن نكون مثل باقي مدن وقرى الدولة.
لقد سعى للخروج على سائد صغير هو أصلاً يشكل خروجاً على السائد العملاق الذي يريد الخروج إليه!
أليس بهذا قد أصبح في قطيع أكبر؟!
السنا في منظومة حاكمية ومسيطرة على العالم، نسير وفق اقتصاد محدد ومفروض، وقيم ترتبط بهذا الاقتصاد، وقوانين سياسية



السائد هو ما يحصل داخل المسرحية، أما عمل المخرج وتسييره للعملية التمثيلية بآلية لا يزيغ عنها إلا هالك فهو ليس سائداً، لماذا؟ لأن المخرج يريد هذا.

إن تحرير العقل لا يكون بتبعيته لعقل آخر، وإنما بإنزاله منزلته، بالبحث فيه وإدراك كينونته، عَرَضَ هو أم جوهر؟ والنظر في حدود إمكاناته وسقف تعاليه، والفطري المشترك فيه من الكسبي النسبي، وعدم خلط القبح الذوقي بالعقلي، وعدم استحداث صراع مبني على تبعية للآخر، أو فقط تحسس غير مبرهن من الموجود المنتشر.



فالله سبحانه وتعالى ذم التبعية للأكثرية في مواضع عديدة، فقال سبحانه: {فأبى أكثر الناس إلا كفوراً} الإسراء ٨٩، وقال: {وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون} يوسف ١٠٦، وقال: {ولكن أكثر الناس لا يعلمون} يوسف ٤٠، وقال: {فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل كان أكثرهم مشركين} الروم ٤٢، وقال: {ولكن أكثر الناس لا يشكرون} غافر ٦١، وقال: {قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعقلون} العنكبوت ٦٣.

وفي المقابل مدح الأقلية: {وقليل من عبادي الشكور} سبأ ١٣. فأبى الناس أكثر وأبهم أقل؟ أهم أولئك الذين يصح فيهم وصف قوم هود كما في قوله تعالى: {أتبنون بكل ريع آية تعبثون، وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون، وإذا بطشتم بطشتم جبارين} الشعراء ١٢٨: ١٣٠، أم أولئك الذين استضعفوا في الأرض وجعل دينهم غريباً على منظومة تستبد بكل مخالف لها؟!



الذي جلب الولايات على الإنسان الأوروبي، ومع أن حضارات الإسلام والهند والصين وغيرها كانت موجودة، إلا أن الانتقال لم يكن لها، لم تكن ثورة التنوير تبعية لسائد آخر، وإنما تغلغت في جذورها نفسها ففصلت الحق الطبيعي عن اللاهوت المسيحي، وألّهمت الإنسان من منطلق تأليه المسيحية لإنسان المسيح، وحاولت إيجاد حلول للتشريع في الديانة المسيحية وتغول الإقطاع وتبجح الاستبداد وسيطرة الأرستقراطية لتنتج من هذا أنظمة سياسية واجتماعية واقتصادية متوافقة مع قيم الحضارات التي أخذت منها، لقد كانت صرخات فولتير ضد الكنيسة وسخريته وسعي ديدرو للخروج عن كل سائد وتفلسف كانط ورؤية مونتسكيو وروسو وغيرهم كل ذلك كان أصداً لواقع مأزوم، ولم يكن بأنفس تبعية، بل بالعكس كانت هناك أنفة تسكنهم واعتداد بكيانهم وهويتهم، أنتجت مركزية مستعالية وملونة بالبياض وترى الآخر مجرد حيوان يستحق الرحمة، ومن التلطف به والعطف عليه استعمارهم وتهمينه حسب رؤية الرجل الأبيض، وسلب خيراتهم وفرض القيم التي ارتضوها هم عليه، بل وفرض منتجاتهم الفكرية كشكل الدولة وقوانين السياسة والنظم الاقتصادية.

لم تكن ثورة التنوير تبعية لسائد آخر.

لحظة النهضة والتنوير كانت معالجة لدين محرف ولواقع سيئ لكن من غير اللجوء ابتداءً إلى حضارات أخرى في التكوين، من غير التقليد التعبدى لغيرهم في الأصول، وما قلدوا فيه لا يعدو أن يكون تقليد منافسة ومماثلة، ولأنها حركة لم تعبأ بوحى منزل وأخلاق مبدّلة لطريق التعقل فقد ضلّت طريقها وزاغت، وليس هذا حديثنا الآن.. إنما المقصد أنهم خرجوا من سائد ليس لأجل مجرد الخروج وليس لتقليد التعبد للغير وإنما لإبداع واستقلال لم يوفّقوا فيه. المشكلة أن نتاج هذه العقول أصبح مقياساً للإبداع، وصار كل اعتناق منه = تخلف، وكل استرقاق له = تحضر، أصبح يجر السيناريو الذي مر به على كل حضارة وكل تراث، فيجب أن يكون كل نص محرف وكل تراث سبب تخلف، لماذا؟ لأن تراثهم كان كذلك، ويجب أن تمثل المسرحية كما يريد المخرج، الاعتناق من السائد أي القديم زماناً، والولع بالعقلانية أي حسب أطرها التي حددها المخرج، وكل رفض لمشهد رآه المخرج حسناً يعدّ قبحاً في ذاته، وكل استهجان لفتة أقرها المخرج تعني تخلف ورجعية للقديم أي السائد.

ويقوم على أخلاقية عالية لا تتوافق مع المعنى المستحدث المسمى (القانون)، كان الفرد ينشأ وهو مستبطن قيمه ومُعقلنها فطرياً، وله مشاكله الأخرى المتعلقة بحياته ومعيشتها، فلم يكن السائد يوماً خطأ ولم يكن مسلم القرون السابقة أقل ذكاءً وأضعف عقلاً من مسلم هذا القرن، وإنما لم تكن تعبت به ثقافة أخرى، فقد كانت الاختلافات في ظل منهجه.

ولم يفرض الإسلام التقليد على عالم.

وكانت المذاهب تختلف فيما بينها بشدة وأحياناً باعتداء وأخطاء لا يخلو منه مجتمع بشري، ومع ذلك فالكل يعرف المرجع ويشير إليه. أما مسلم هذا الزمن مع كل هذه التركة الثقيلة من التراث فإن خارطة نمودجه الإدراكي تغيرت، وأصبح مرتبطاً عضوياً بالدولة مع تنازع مع المجتمع، فهو بين فردانية تحكمها ظروف المعيشة، وجماعية تحكمها ظروف العادات، لذلك بدأ الفقه يصبح غريباً عليه، وبدا هشاً أمام أي ثقافة نافقة، خصوصاً إن كان يروج لها ليل نهار، من هنا خرجت حكاية الخروج على السائد لمجرد الخروج لا للبرهان.

وفي النهاية، من المعلوم أن القطيع لفظ يطلق على مجموعة من النعاج والخراف يقودهم حمار يركبه الراعي، والحمار ليس من فصيلة الخراف والراعي كذلك، إذن... فالسائر خلف هوية غير هويته ولفصيلة ليست فصيلته هو الذي يمشي مع القطيع وليس العكس..

أعتقد أنها وصلت!



السائد لا حكم له في ذاته؛ فقد يكون خطأً كما فعل المشركون مع سائدهم: {قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون} الشعراء ٧٤، وقال تعالى: {بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون} الزخرف ٢٢.

وقد يكون صواباً كما فعل أبناء يعقوب عليه السلام مع أبيهم: {أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلهاً واحداً ونحن له مسلمون} البقرة ١٣٣، وكما فعل يوسف عليه السلام: {واتبعت ملة آبائي إبراهيم وإسحاق ويعقوب ما كان لنا أن نشرك بالله من شيء ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون} يوسف ٣٨.

فالعبرة ليست بكثرة أو قلة، سائد أو مختلف، قديم أو محدث، هذه كلها أوصاف لا تجعل الفعل صحيحاً أو خاطئاً بذاته، وهي نسبية تختلف باختلاف الزمان والمكان، والاحتجاج بها مجردة يندرج تحت الحجج الشعرية الوهمية التي تستهدف عواطف الناس، وإنما العبرة بالبراهين الواضحة والحجج الدامغة.

السائد لا حكم له في ذاته؛ فقد يكون خطأً كما فعل المشركون مع سائدهم... وقد يكون صواباً كما فعل أبناء يعقوب عليه السلام.

ولم يفرض الإسلام التقليد على عالم، بل الاجتهاد مطلب شرعي، (تجديد الدين) بما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم هو من الأمنيات لكل متعلم، وفي الإسلام يستطيع الجميع أن يكونوا علماء؛ فالعلم غير محتكر على أحد ولا يستطيع أحد احتكاره، ولكن مع هذا: فمن احترام العلم أن يرجع إليه عند الحاجة، لذلك أوجب الإسلام على الجاهل أن يتبع العالم وإن كان هذا الأمر في دينه، فإن كانت علوم الدنيا توجب الأخذ عن علمائها فمن باب أولى الآخرة التي فيها النجاة، ولهذا تفصيل يطول ذكره.

المهم أن علماء الإسلام أنفسهم كانوا ينفرون من التقليد مع العلم؛ واتباع السائد من دون هدي ودليل، فاحتكامهم لم يكن للأشخاص، فهم غير معصومين، وإنما للمنهج وللبرهان.

نعم قصرنا، ومنا من دخلت عليه عجمة الإكليروس ورأى العلماء كأنهم قساوسة، ومن بعض ضعاف طلبة العلم من مثلوا هذا الدور أيضاً، لكن هذا في قلة قليلة ولا تمثل ما عليه عامة أهل العلم. فالفقه الإسلامي ابنى على مجتمع يرتبط فيه الفرد عضوياً، ويمثل فيه المجتمع دور منتج القيم، وحارسها بنفس الوقت،

لماذا نحب قراءة الروايات؟

أ. الجوهرة بنت مقعد العتيبي

معيدة لغة إنجليزية، باحثة ماجستير تخصص لغويات



تستطيع من خلاله عكس متطلباتها وأفكارها، فما كان من المثقف إلا اللجوء إلى **الرواية** لتحل محل **الشعر**؛ فتكون هي ديوان العرب في العصر الحديث، فتحوّلت الوسيلة من الاستماع الناتج عن المشاهدة إلى الرؤية الناتجة عن صورة. فتولد لدينا نوع ثقافي جديد وهي **ثقافة الصورة**، وبالرغم من أن "الكلمة في الكتاب هي صورة جامدة" كما عبر عنها **الغذامي** [٣] إلا أن لها حركة خاصة بها وهي حركة الصورة المتخيلة كما أشار إليها **جيل دولوز** في كتابه (فلسفة الصورة) حيث قال: "الرواية هي أيضاً في كليتها تُبنى على حركة الصورة المتخيلة، وتبتكر مجموعة صور مختلفة وتؤلفها عن طريق مونتاج آخر. فهل هذا يعني أنه يمكن اعتبار الرواية صورة سينمائية صامتة، وأن السينما صفحات روائية ناطقة؟" [٤]. فهي عبارة عن أشخاص ومجتمعات وصراعات وأفعال وردّات فعل يعيشها القارئ في خياله عند قراءته لتلك الكلمات.

وعند تناول أبرز ما يميز **الرواية** حتى أصبحت نوعاً أدبياً مرغوباً ورمزاً ثقافياً ملموساً، نجد أن النهضة العلمية التي يشهدها هذا العصر جعلتنا بحاجة إلى نص أدبي يتميز بأنه نص: "يوفق على قدر الطاقة بين

شغف الانسان الحديث بالحقائق، وحنانه القديم إلى الخيال. وقد وجد العصر بغيته في القصة. فإذا تأخر **الشعر** عنها في مجال الانتشار؛ فلأنه تنقصه بعض العناصر التي تجعله موائماً للعصر، فالقصة على هذا الرأي هي شعر الدنيا الحديثة" [٥].

فما كان من المثقف إلا اللجوء إلى الرواية لتحل محل الشعر؛ فتكون هي ديوان العرب في العصر الحديث.

فالرواية أصبحت أسهل الفنون الأدبية من حيث طرح النظريات العلمية التي تعكسها ثقافة المجتمع، إذ أنها لا تتطلب وزناً ولا قافية معينة لحصر تلك العلوم، بالإضافة إلى أن سردية الكتابة تمنح

"الروايات الأكثر إقبالاً" جملة أصبحت تتأصّل عناوين الصحف الإخبارية بعد انطلاقة معارض الكتاب في الدول العربية، الأمر الذي يجعل القارئ يستفهم: لماذا **نحب الروايات**؟! ولماذا يُقبل الناس على قراءة الروايات؟!

عند النظر في التاريخ البشري نجد أن **الشعر** كان متربّعاً على عرش الثقافة البشرية قديماً، ولذا كانوا يقولون بأن **الشعر ديوان العرب**، فلم يكن **للرواية** شأن كشأن الشعر، وذلك لما كان يتميز به الشعر من مميزات مثل الإيجاز والبلاغة واتباع وزن وقافية يجعل منه أدباً موسيقياً ملازماً لذهن حافظيه. ولما

كان **الشعر** رمزاً للثقافة في تلك العصور ظهر لنا مسمى جديد للثقافة البشرية وقتها وهو الثقافة الشفاهية أو شفاهية الثقافة كما أسماها **عبدالله الغذامي** في كتابه (اليد واللسان) [١].

حيث ذكر **الغذامي** أنه في بداية مطلع الأدب العربي كانت مكانة **الشعر** معززة كعلامة ثقافية في المجتمع، وتم توارثه حتى صار المعهود أنه من يحفظ **المعلقات** وشعر **المتنبي** و**المعري** فهو مثقف. وقد تميزت هذه الثقافة بميزات ملائمة لظروف ذاك العصر وهي: البساطة والوضوح وذلك؛ لأنها تعتمد على **الذاكرة** في حفظ المعرفة، ومحدودية أغراض **الشعر** كالممدح

والمهجاء والغزل والثناء، وهذا ناتج عن محدودية الأنماط الثقافية السائدة لدى جمهور الثقافة الشفاهية، وهو عكس ما نجده في السرد الأدبي أو (الرواية).

وبالرغم من مرحلة التدوين التي تعرض لها **الشعر** فجعلت منه أدباً كتابياً بدلاً من كونه شفاهياً، إلا أن تلك المرحلة لم تأت إلا وقد فقد **الشعر** من أعماله الكثير. بالإضافة إلى ما يعتري النص المدون من التحسين والتعديل، وبالتالي أصبح موروث الشعر حديثاً موروثاً قليلاً كما علل ذلك **أبو عمرو بن العلاء** في قوله: "ما انتهى إليكم مما قالت العرب إلا أقله، ولو جاءكم وافرأ لجاءكم علمٌ وشعرٌ كثير" [٢]. وما أن تغيرت ظروف العصر حتى اضمحلت تلك الميزات للثقافة الشفاهية، وصارت الأغلبية تشد نوعاً أدبياً





القوانين الأساسية، وإنما لأنهم حجر عثرة في سبيل كبار الموظفين والأغنياء الذين يريدون أن ينعموا مطمئنين بالثروات التي ينهبونها من الشعب" [٨]. وفي تصويره للدين المسيحي ورجاله وكيف أنهم ضلّوا الحقائق في قالب ديني من أجل إرهاب عامة الناس فيقول: "كان شديد الحرص على الانتقام من أولئك الذين أبقوه على ضلاله القديم. ولذا كان لا ينكف عن إعلان بغضه للكهنة ورجال الدين، ويسخر مبرارة من التعاليم الدينية" [٩].

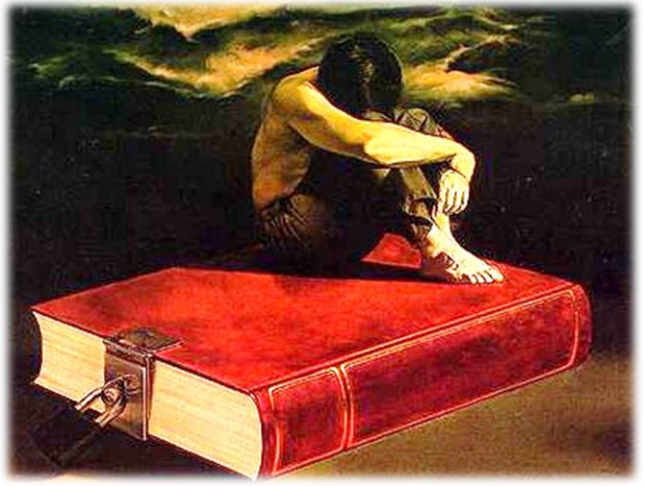
وفي رواية (سقف الكفاية) ينتقد محمد حسن علوان العادات الاجتماعية بقوله: "كم نقصنا من الفهم الصحيح حتى نفهم أن بعض ما نظنه مثالية لم يكن إلا وأدأ في الزمن الأخير، وأن ما يفصله لنا المجتمع من مبادئ قد لا يناسب أجسادنا، فلماذا لا نفصل مبادئنا بأنفسنا مدام الهدف الأخير هو ستر العورة؟" [١٠].

النقد الاجتماعي، ومحاولات الرواة عرض مشكلات المجتمع الأخلاقية والاجتماعية والنظم الحياتية.

ويصف واسيني الأعرج حال الإنسان العربي في علاقته مع أسلوب حياته في روايته (طوق الياسمين) فيقول: "الإنسان العربي هكذا. يولد وموت في الهم. وكلما رأى شعاعاً صغيراً في الأفق، شعر بتخمة في السعادة، وعندما يقترب يصفعه السراب القاتل. الإنسان العربي لا يعرف أنه كلما خطا خطوة إلى الأمام متحاشياً المزالق السابقة، وجد في طريقه من يأخذ بيده ويخرج به نحو الحفر والمدافن" [١١]. وبما أنها أصبحت مجالاً خصباً لنقد المجتمع من قبل أفراده؛ فإنها أيضاً أصبحت غشاءً أدبياً لحرية الرأي، وبهذا فهي أشبه بالجلباب الذي يحوي تحته الكثير من الاتجاهات الفكرية والمذاهب العقدية والأحزاب السياسية.

وبهذه الميزة أصبحت الرواية مصدراً ثقافياً مهماً يجد فيه القارئ بغيته في قراءة ما يشاء، فلقد منحت حرية ثقافية واسعة يجد فيها نفسه. فنحن نجد وصفاً لاذعاً من الروائي محمد علوان لممارسات الأنظمة العربية في أهل الرأي مثلاً وما يتلقونه من ضغوطات في محاولات لتكميم الأفواه إذ يقول: "لم أعد أدري في هذا الزمان من الذي ضربت عليه الذلة والمسكنة فعلاً. لا نريد أن يكون لنا أثر بارز في بلاد غريبة، نريد أوطاناً لا يطردنا منها أحد فحسب" [١٢]. وفي وصفه لمحاولات التغيير الذي يسعى بعض الشباب والفتيات إلى تحقيقه يقول علوان: "ثمة فتية وفتيات يحاولون فرض لغة جيلهم. يتقدمون كلما أذاهم الكبار، ويتراجعون كلما أحسوا أنهم

الكاتب حرية في استخدام ما يشاء من الكلمات الواضحة والصريحة لإيصال الفكرة العلمية عن طريق حبكة الرواية. ويتولد عن النهضة العلمية جانبٌ حسيّ آخر وهو ميل الناس إلى علم المنطق وتأثرهم به، ومما لا ريب فيه هو توجه الناس إلى ما يقدم لهم هذا العلم في قالب أدبي ملائم لقارئيه. وبناء عليه فإننا: "نتعقل الأحداث من خلال قصص ممكنة. ويذهب فلاسفة التاريخ إلى أن التفسير التاريخي لا يتبع منطق السببية العلمية وإنما منطق القصة، فلكي تفهم الثورة الفرنسية مثلاً، عليك فهم السرد الذي يظهر الكيفية التي أفضى بها حدثٌ إلى غيره، فالأبنية السردية منتشرة في كل مكان" [٦]. وقد صاحب ارتفاع المستوى العلمي للمجتمع وإيمانه بالمنطق إلى خروج مؤثر ثقافي آخر وهو النقد الاجتماعي، ومحاولات الرواة عرض مشكلات المجتمع الأخلاقية والاجتماعية والنظم الحياتية، مع استعراض حلول لها في قالب روائي يسعى الكاتب من خلاله إلى نشر الوعي في الطبقة العامة من أجل التأثير على الرأي العام للمجتمع. وهذه الصفة امتازت بها الرواية دون غيرها، ففي الرواية: "مجالاً للبوح الممكن الذي يعكس صراحةً أو كنايةً بعض ما يمور أو يدور في المجتمع من أزمت وصراعات" [٧]. وهذا يتضح جلياً في رواية (البعث)، حيث عبر الروائي الروسي ليو تولستوي عن سخطه على تقديم مصالح عليّة القوم على حقوق الطبقة العاملة. فبعد الحوار الذي دار بين الشخصية الرئيسية في الرواية الأمير نيكليندوف وبين توبوروف، قال تولستوي على لسان نيكليندوف: "مصالح الشعب - كان يقول في نفسه مستعيداً إلى ذاكرته ما قاله توبوروف - وسلامة الدولة... قل مصلحتك ومصلحة أشباهك، هذا ما كان يجب أن يقول". إلى أن قال: "لقد تبينت للأمير حقيقة واحدة وهي أنه إذا كان هؤلاء قد سجنوا وشردوا وعذبوا فليس لمخالفتهم



للصوت الأنثوي مطالبات بها، هذا بالإضافة إلى المسحة الأنثوية التي تعلو حضارتنا الحالية كما أشار بذلك الدكتور **بكار** [١٩]. وبذلك كُتبت العديد من الروايات **بأقلام نسائية** تتمحور عناوينها حول حقوق المرأة ومساواتها بالرجل، وحول تثقيف المرأة بدورها الاجتماعي إلى غير ذلك. فأصبحت **الثائرة العربية** ثائرة كتابياً بأفكارها لبنات جنسها. وهي في هذه المرحلة الزمنية **(أي القرن العشرين)** تعود بنا إلى حال المرأة الغربية في القرن الثامن عشر والتاسع عشر؛ فنجد الأدبية السورية **كوليت خوري** قد استهلت بداية روايتها **(أنا معه)** بغضب من العادات العربية التي تقيد الفتاة وتحرمها من حقوقها كحق التعليم، حيث قالت تصف حال ريم بطة الرواية: **"بعد أن حصلتُ على شهادة البكالوريا، وكنتُ في السابعة عشر. وملأ النجاح حاضري بالنشاط، وزين مستقبلتي بالآمال. لكن والدي رفض أن أكمل دراستي وأدخل الجامعة، لأن الفتاة في بلدي، لا حاجة بها إلى الشهادات العليا، زلزلني رفضه. كيف.. كيف أقبل أن أعيش حياة تافهة؟! كيف أَرْضَى أن أعيش بين أربعة جدران، أقتل طموحي بالملل، وأدفن آمالي في انتظار العريس"** [٢٠]. وبالمثل نجد غادة السمان في رواية **(عينك قدري)** تطرح قضية الاستياء من ميلاد الأنثى لدى الرجل العربي، فبطلة الرواية الأنثى **"طلعت"** أسماها أبوها بذلك الاسم لأنه يريد المولود الخامس ذكراً لا أنثى: **"يريد ولداً يسميه طلعت.. أسماها طلعت"** [٢١]، والأمثلة كثيرة حول المشاكل والمعوقات التي تحصل للمرأة العربية في العصر الحديث والتي لا زالت الروايات بأقلامها الأنثوية تسطر عنها.



إذ عبّر الرواة بها عن مكنوناتهم وصراعاتهم بينهم وبين أنفسهم والأفراد والمجتمع. فكتبوا تساؤلاتهم حول الحياة والنفس والأخلاق والقيم

ساروا خطوات طويلة وحدهم **وشعروا بالقلق** [١٣]. وبذلك ظهرت مكنونات النفوس لدى الأدباء بكتابة اعتقاداتهم ورؤاهم في جلاب الرواية. ففي الاتجاه الفلسفي، نجد رواية **(الغريب)** **لألبيز كامو** الفيلسوف الوجودي، حيث تظهر لنا فلسفته بدءاً من أولى صفحات الرواية: **"أمي ماتت اليوم. وربما كان ذلك بالأمس، لست أدري!"** إلى نهاية روايته حيث يقول قبل الفقرة الأخيرة منها: **"في ذلك الليل الذي يفيض بالنجوم، أحسست للمرة الأولى بعذوبة ورقة اللامبالاة"** [١٤]. وبين البداية والنهاية يظهر لنا هذا الأديب اللامبالي واللامنتمي ليؤكد إخلاصه لفلسفته.

وفي حديث النفس نجد أن الرواية أصبحت **موطناً لغرباء الروح والمشاعر**، إذ عبّر الرواة بها عن مكنوناتهم وصراعاتهم بينهم وبين أنفسهم والأفراد والمجتمع. فكتبوا تساؤلاتهم حول الحياة والنفس والأخلاق والقيم رغبة في إراحة ضمائرهم من حملها في أذهانهم لا رغبة في الإجابة. ويرغبون بذلك مشاطرة القارئ بها عسى أن يتفهم أحدهم أسئلته، أو لعله بسؤاله يستطيع أنه يعبر عما يحير القارئ من سؤال عجز عن صياغته. فتخللت أحاديثهم عبر شخصيات الرواية ووقائعها، ففي رواية **(بطل من هذا الزمان)** يخبرنا **ميخائيل ليرمنتوف** عن الصراع الذي يعاني منه البطل **بيتشورين** بينه وبين أفراد مجتمعه فيقول: **"كان جميع الناس يقرأون في وجهي علامات غرائز شريرة أنا منها بريء، وما زالوا يفترضونها في حتى نبتت وتأصلت. كنت خجولاً، فاتهموني بالمركر فأصبحت كتوماً.. وكنت حزين النفس، وكان الأطفال الآخرون فرحين هذارين، وكنت أشعر أنني فوقهم، فقيل لي إنني دونهم، فأصبحت حسوداً"** إلى أن قال: **"لم يكن شابي الخالي من الفرح إلا صراعاً مع الناس ومع نفسي. خوفاً من الهزء، دفنت أنبل عواطفني في أعماق قلبي، فماتت هنالك"** [١٥]. وها هو واسيني الأعرج يرصد لنا سילاً من صراعاته مع الأسئلة والحياة فيقول: **"لماذا نعذب أنفسنا بكثرة الأسئلة؛ والحياة تندفع أماننا كالشلال"** [١٦]؟، **"لماذا نحن في هذه البلاد بكل هذا القدر من المبالغة في كل شيء. لا يمكن أن نرتاح إلا عندما نصل إلى النقطة العالية التي يتساوى فيها الحب والكراهية"** [١٧]، **"هل الإنسان بهذه السهولة ليتحول إلى مجرد جملة تختزل كل التفاصيل الخفية والظاهرة"** [١٨]؟.

وكما تفردت الرواية بتلك الميزات السابقة حيث صارت مرآة المجتمع البشري فكرياً وثقافياً وعلمياً وسياسياً، فمن الطبيعي أن تعكس الحركة الأنثوية التي شهدتها التاريخ في العصور الأخيرة، فتزامناً مع مفاهيم الحرية والمساواة والعدالة أصبح يُسمع



المراجع

- [١] اليد واللسان، عبدالله الغزامي (ص: ٢٠).
- [٢] القصيدة والنص المضاد للغذامي (ص: ١٦).
- [٣] اليد واللسان (ص: ٢٢).
- [٤] مجلة فكر الثقافية:
http://www.fikrmag.com/topic_details.php?topic_id=20
- [٥] جدلية الحرية والعدالة في روايات نجيب محفوظ رسالة
دكتوراه لجمانة السالم (ص: ٤٥).
- [٦] صحيفة العرب: <http://www.alarab.co.uk/m/?id=28877>
- [٧] جدلية الحرية والعدالة في روايات نجيب محفوظ لجمانة
السالم (ص: ٤٦).
- [٨] المرجع السابق (ص: ٤٢١).
- [٩] المرجع السابق (ص: ٥٥٤).
- [١٠] المرجع السابق (ص: ٢٤٠).
- [١١] المرجع السابق (ص: ٩٦).
- [١٢] سقف الكفاية (ص: ١٨٨).
- [١٣] المرجع السابق (ص: ١٧٣).
- [١٤] انظر: (ص: ٩-١٥٩).
- [١٥] انظر: (ص: ١٥٠).
- [١٦] انظر: (ص: ٤٥).
- [١٧] انظر: (ص: ٢٠).
- [١٨] انظر: (ص: ٤٦).
- [١٩] انظر: تكوين المفكر (ص: ١١٢).
- [٢٠] انظر: (ص: ٢٢، ٢١).
- [٢١] انظر: (ص: ٩).





كل ظلام العالم

لا يستطيع إخفاء ضوء شمعة واحدة !!



الشرط المستحيل

IM POSSIBLE

م. أحمد حسن

باحث علمي متخصص في مجال الإلحاد الحديث، مدير البحث العلمي بمركز دلائل، صدر له كتاب: (الميديا والإلحاد)



لقد أحدثت بسبب معاملة والدي القاسية

أكثر الذين يتعاملون مع هؤلاء في حياتهم أو في دعوتهم... وهي تشبه قول السارق أو القاتل أو البغي: (ظروني حتمت علي ذلك). والذي أريد توضيحه هنا أن هذا القاتل أو ذلك يعتمد في اتخاذ قراره على (تبرير عقلي) لا صحة له منطقياً، أو كما نقول: يعتمد على (شرط مستحيل) لكفره أو إلحاده أو معصيته أو جرمته، وهو يظن أنه بذلك قد أقام الحجة لنفسه على الله تعالى أو على الناس، فهل هذا الموقف صحيح؟

نحن نعرف في اللغة العربية (أسلوب الشرط) بأنه تلازم بين جملتين بواسطة أداة الشرط، حيث نجد مثلاً (فعل الشرط) يترتب عليه (جواب الشرط) غالباً لارتباطهما معاً، (إن تذاكر تنجح)، (من يجتهد يصل)، والسؤال: هل ما اعتمد عليه هؤلاء المبررون لكفرهم أو إلحادهم (أو حتى إجرامهم بسبب الفقر أو الظروف وغيرها

لعله من أعجب صفات الإنسان هي (العقل)، ولعل أعجب ما في العقل هو (قدرته على التبرير)، ومن ذلك أنك تجد القاتل حين يقتل فليده سبب يبر به قتله، والسارق حين يسرق لديه سبب يبر به سرقته، وهكذا مع كل ذنب ومصيبة، وصولاً إلى أشهر القتل والسفاحين على مر التاريخ والذين يبيدون مئات الآلاف أو ملايين البشر من العزل والمدنيين والأبرياء.

فإذا أردنا النظر إلى (الكيفية) التي يتم بها صنع هذا التبرير في عقولهم وتفكيرهم، وجدت أغلبها يقوم على (التمركز حول الذات) Egocentrism في رؤية الأشياء والحكم عليها، حيث يقوم عقله بإطلاق (صورة) عن الأمر تخدم ما تكنه نفسه من رغبة أو تبرير، ثم يعمل على تصديقها أو محاولة تصديقها، وذلك بعيداً عن أهمية النظر إلى ما يمكن وجوده عند الآخرين من رأي أو وضع مخالف.

ورغم أن هذه المقدمة القصيرة تحوي إمكانية كبيرة للشرح والإسهاب والتفصيل والتعميم أو الاستثناء، إلا أنني سأختار موقفاً واحداً فقط من أشهر المواقف التي يتم تطبيق هذا (التبرير العقلي) فيها، ألا وهو (شرط الأكثرية والظروف) لتبرير (الكفر أو الإلحاد)، وذلك على اعتبار أن عقيدة الإنسان هي أهم ما في حياته على التحقيق، فبها يحيى ولها يضحى وعليها يموت.

فنحن نسمع كثيراً قول القائل مبرراً لإصراره على كفره أو إلحاده بعدما تبين له الحق والإسلام: "لن أترك ما أنا عليه لأنه ليس خطأي أن الله خلقني نصرانياً أو ملحداً أو هندوسياً أو بوذياً"، أو قوله: "لقد أحدثت بسبب معاملة والدي القاسية"، أو: "بسبب ما رأيته من أخلاق المتدينين"، إلى آخر هذه التبريرات التي مرت على



لو كان كل من يولد في دين ما يموت عليه: لكان لهؤلاء حجة عند الله (لأنه لا يختار أحدنا بلده ولا أهله ولا دينه الذي سيولد فيه)، ولا اكتملت لهم حالتهم (الشرطية) التي يحاولون إقناع أنفسهم والناس بها. ولكن لما كان الأمر بخلاف ما ادعوا صار (شرطهم مستحيلًا)، وسقطت حجتهم التي كانوا يبررون بها انحرافاتهم وبقائهم أو إصرارهم عليها (إذ أن الإنسان الصادق إذا اضطرت الظروف إلى شيء يخالف فطرته فإنه يعود عاجلاً أو آجلاً).

وما قيل في ظروف الدين الذي وُلد فيه الإنسان يُقال كذلك في كل الظروف التي يتعرض لها البشر من ضيق عيش، أو فقر، أو بتم مبكر، أو مرض عضال، أو تفكك أسري، أو وحشية أب أو أم، أو فساد زوج أو زوجة، إذ ليس كل من تعرض لمثل هذه الظروف خرج منها كافراً أو ملحداً أو مجرماً، بل هناك من تحكم في نفسه وعاش حياة عادية، أو قام بتحويل آلامه إلى آمال؛ ثم استطاع أن يحقق تلك الآمال على أرض الواقع وأكثر (وفي حياة المشاهير وتتبع قصصهم عبرة لمن يبحث، وذلك مثل المليونير كريستوفر غاردنر Chris Gardner وطفولته التي قاسى فيها التشرد والآلام[٤]).

المراجع

[1] Pollard, Nick (April 1995). "High Profile". Third Way (3): 15

[2] Physicist Lawrence Krauss on Our Cosmic Origins. Onbeing.org, August 17, 2012

[3] Samuels, David. May 29, 2012. Q&A: Sam Harris. Tablet. Retrieved: 6 October 2014.

[٤] أصدر كتاباً عن قصة حياته ومعاناته باسم: (البحث عن السعادة) The Pursuit of Happyness تحول إلى فيلم ٢٠٠٦م.

كما أشرنا) هل يدخل ضمن هذه الحالات الشرطية الجازمة؟ والإجابة عن يقين هي: لا... إذ يمتلئ تاريخ الإنسان وتمتلئ الحياة اليومية لمليارات البشر بنماذج وأمثلة للعديد ممن تعرضوا لنفس الظروف والأحوال التي يذكرها المبررون ولكن: لم تظهر فيهم (الإجابة الشرطية) التي يوهمون الناس بأنها (حتمية) الوقوع.

فليس كل من وُلد على دين معين مات عليه، وها هم الملاحدة أنفسهم وُلد أغلبهم في أسرة دينية ثم تركوا دينهم إلى الإلحاد! فريتشارد دوكنيز Richard Dawkins نشأ في أسرة إنجيليكانية[١] Anglican، و لورانس كراوس Lawrence Krauss في أسرة يهودية[٢] Jewish، و سام هاريس Sam Harris من أم يهودية وأب من الكويكر Quaker المسيحيين البروتستانت[٣] ونشأ نشأة علمانية، فأين الحتمية هنا؟ إذ يشهد كل ذلك بأن الله تعالى خلقنا بحرية إرادة تامة واختيار.

بل والأعجب أنه هناك من تقلب (أكثر من مرة) في حياته بين المذاهب والمعتقدات؛ فمن نشأة دينية إلى الكفر أو الإلحاد أو اللادينية ثم العودة إلى الإيمان أو الدين مرةً أخرى وهكذا (مثل أنطوني فلو Antony Flew أو سي. إس. لويس C. S. Lewis وغيرهم)، والذين لو ذكرنا بعض قصصهم فقط لطال بنا المقام. وإمّا يكفينا إبراز الدور الذي يلعبه هؤلاء الملحدون أنفسهم في تغيير عقائد الناس (وينجحون في ذلك بالفعل)! فلماذا يستثنون ما يقومون به من جملة ما يعترضون عليه من ظروف الناس وولادتهم في ظروف أو أديان معينة؟

وحتى الإسلام نفسه؛ فعلى قدر ما يدخل فيه عشرات الآلاف سنوياً، على قدر ما لا يخلو من مثل هذه التحولات والتغيرات كذلك -رغم ندرتها مقارنةً بغيره-، حيث هناك من يترك الإسلام للشهرة أو المال أو الشبهات أو الشهوات مثل بقية البشر، وليس عبدالله القصيمي منا ببعيد، إذأ...

جدار اللوحي الاعلامي من يقبع خلفه ؟





حواء آل جدة

مؤسسة شبكة عز وب FM ورئيسة شئون تعليمية، ومدرسة
معمدة لعدة برامج، وطالبة دراسات عليا أصول فقه

وسائط دعائية مختلفة ومنوعة، شبكات تواصل، إعلام تقليدي، كل ذلك يتابعنا ويحاصرنا وينجح أو يخفق في إحداث استجابة معينة لما يريد، هذا اللوي الإعلامي يعمل بنوعين متوازيين: أولهما اللوي الإعلامي المرئي (المدرك بأحد حواسنا مباشرة)، ويمثله: - أصحاب أموال يستخدمون أموالهم للتأثير فيما يخدم مصالحهم، أو لتأسيس قوى ومجموعات أخرى ذات قدرة على الحث والتأثير. - مجموعات ومنظمات ووسائط إعلامية تقليدية أو غير تقليدية، ودورها تشكيل أكبر ضغط ممكن، أو تجنيد الرأي العام تجاه قضية معينة.

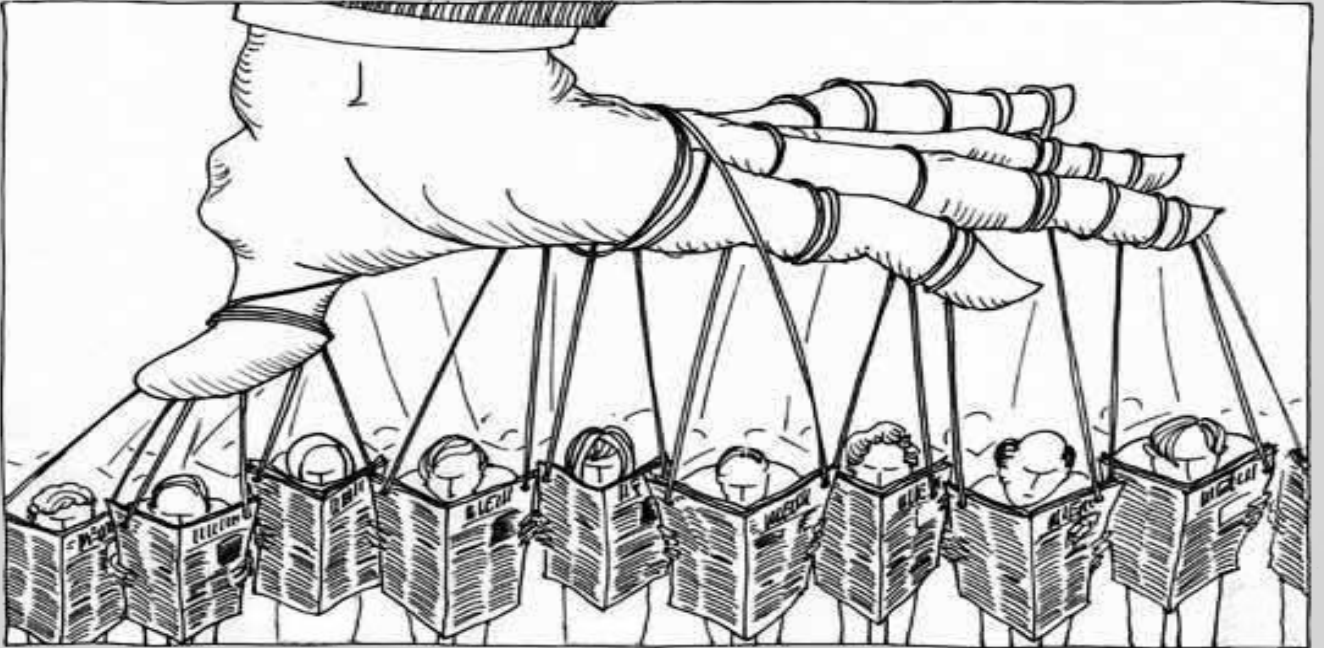
أمل ألا يعمل الخلط الفكري الآن فيخلط بينها وبين الـ Think Tank، صحيح بينهما تداخل وتأثير متبادل لكن دون مزج. وأما ثانيها فهو اللوي الإعلامي غير المرئي (ما لا يمكن إدراكه بحواسنا مباشرة)، ومثله: مجموعة أفكار وقيم ومعتقدات تعمل وتضغط باتجاه التأثير والتغيير السياسي أو الاجتماعي أو الفكري أو الاقتصادي أو الثقافي بواسطة جماعات الضغط (اللوي الإعلامي المرئي). مثال... هل تذكر يوماً أنك كنت مقتنعاً ومؤمناً بصوابية أو خطأ فكرة ما.. سلوك.. رأي، ثم صارت لديك قابلية للأخذ والعطاء وقبِلت المخالفة حولها مع تحقّظك؟ فهذا هو زال التحفّظ وبقي القبول للأخذ والرد.. هل أصبحت المخالفة لديك اعتيادية.. انتقلت إلى معسكر المخالف وتبنيت الرأي الآخر..؟ هذا التحول المتدرج يعمل اللوي الإعلامي في إحداث نظائره بفعالية عالية، وتأثير تراكمي، وقد يكون مفاجئاً.. إلا أن المفاجأة التي تبدو لك إنما هي

إياك أن تظن أني سأخذك في جولة بين ردهات أجمل أو أفخم فنادق العام، لأنني لست من يعدّ قوائم بيزنس إنسايدر Business Insider.

حسنًا... لا تكثر بما قلته، لكن هل تريد أن تعرف شيئاً مثيراً؟ أرجو أن يكون كذلك، وإلا فلك حق رفع قضية تعويض من نفسك! فاسمح لي أن أحدثك عن اللوي غير المرئي للإعلام وكيف يبني جدار العزل الفكري.

صحيح أن لوي lobby كلمة إنجليزية تعني الرواق أو الردهة الأمامية في الفندق، لكنها في المعنى العام السياسي والإعلامي والثقافي تدل على جماعات أو منظمات تتفق أهدافها ويحاول أعضاؤها التأثير على صناعة القرار أو الرأي العام في هيئة أو جهة معينة لإحداث تغيير معين.

قارئ المميز: هل جربت يوماً أن ترسل إلى والدتك: مرة أختك، وأخرى خالتك، وثالثة جارتكم؛ ليقنعوها بأمر تريده بعد أن أعجزتك موافقتها المباشرة؟ أنت بذلك قريب من فكرة اللوي -إذا فعلت- وتعمل وفق خصائصه المنظمة والتي لها أهداف ومصالح بعيدة المدى، وتمارس ضغطاً كبيراً وممنهجاً قصير المدى على صنّاع القرار، لكنها مستمرة وتؤثر على المدى الطويل.





الجديد لهذه الأهمية. تخيلت ذلك الجدار العالي ويقبع خلفه جمهور جديد كأهم مخرج له، إن ذلك التكتل البشري له خصائص جديدة مختلفة عن خصائص كل فرد يشكله، ويمتاز بـ:

- انطماس الشخصية الواعية للفرد.
- نشوء أفكار الوحدات المصغرة التي تشكل الجمهور وموجهة في نفس الاتجاه.

- الكينونة الخاضعة لقانون الوحدة العقلية للجماهير.
- توجيه المشاعر والأفكار باتجاه واحد. ويشرح جوستاف لوبون ذلك بوضوح قائلاً: "إن شعباً بأكمله يمكنه أن يصبح جمهوراً بتأثير هذا العامل أو ذاك بدون أن يكون هناك تجمع مرئي".

- الانفعال والخفة وضعف التأهيل للمحاكمات العقلية مقابل التأهيل للعمل والانخراط.
- الترقب لتلقي الاقتراحات.

- عواطف بسيطة ومتطرفة دفعة واحدة: تعصب.. استبداد.. تحامل.. تعاطف.. إسقاط.. مؤازرة.
- قطيع يحتاج لقائد.. جمل جاهزة تعفي من عناء التفكير.. مستعدة للانقياد.

وفتش في التعليقات والوسوم (الهاشتاقات) وبعض المتابعين. لذلك فإن ١٠٠٠ شخص مجتمعين على سبيل الصدفة لا يعدون جمهوراً نفسياً منظماً. تريد التأكد مما أقول؟ اختر عينة وحاول أن تصنع منها جمهوراً معزولاً بجدار فكري، وكل ما ستحتاج إليه: التأكيد: لفكرة واضحة لهم. التكرار: حتى يحصل إغراق. العدوى: باستحداث جمهور آخر ولو وهمي أو من خارج مجتمعهم، لإيهام الجمهور المعزول أن هناك جماهير معه وتؤيده.

بذلك تستطيع مع جمهورك المعزول تكوين عقلية تقمع أي اتجاه للتساؤل عن الهدف.. الحاجة لتحقيق الذات.. الحث على الحرية المستنولة. وسيسهل عليك صنع فاذج وجماهير أنومية Anomie أي الأشخاص الراضين معايير مجتمعهم، مثلاً: مجموعة هكر، لصوص، مدعي التحرر ونحوه.. تنبه أنهم لا يشعرون بالاغتراب لقوة إحساسهم بالزمانة واشتراك الهدف بينهم، لكن لعدم احترامهم أنظمة المجتمع يوصفون بالأنوميين، وهؤلاء يسهل بهم كسر القيم أو تعزيزها، نشر الوعي أو تدميره، حرية المجتمع أو أسرهم لجهات أخرى. لا تتعجب فقد عدّ (دوركايم) وظيفة إيجابية للجنوح أو الانحراف، ألا وهي تقوية نظام الأخلاق؛ لأننا سنضطر إلى وضع قوانين للجنانحة التي انتهكت، ونذكر أهمية الوجود منها.. ألا ترون أنظمة الجرائم المعلوماتية لم تخلق في عراء..!

عمل دؤوب للوبي غير مرئي.. ثرى: هل نجحت في إدخالك الآن لساحة التساؤلات عن هذا اللوبي، كيف يعمل، ما أدواته، وهل ثمة علاقة بين اللوبي المرئي وغير المرئي..؟ قبل الجواب تذكر: قد تصل خطورة اللوبي اللامرئي أحياناً إلى أن يُعدّ المجتمعات لتبني القرارات، وينحصر دور السلطات في إضفاء الصفة الرسمية عليها فقط! - لا يصنع القرار مباشرة ولكن يؤثر في صنّاع الرأي والقرار وقادته بصورة غير مباشرة.

- أذرع اللوبي الإعلامي المرئي متعددة ومختلفة منها: شبكة العلاقات مع المتنفذين وقادة المجتمع (علماء، أهل القضاء والقانون، الباحثين والمحققين الاستراتيجيين، الأكاديميين، السياسيين، الإعلاميين، الفنانين) يذكر موقع أيباك ٢٠٠٠ مقابلة سنوية بين أعضائها وأعضاء الكونغرس ومجلس النواب الأمريكي ينتج عنه مئات القرارات في صالح إسرائيل وتنتج أيباك لذلك دورية تقرير الشرق الأدنى.

- يسعى اللوبي بنوعيه للتأثير في ثلاثة محاور: ١- في الدولة. ٢- على الدولة. ٣- في الجمهور والرأي العام.

- أدوات اللوبي الإعلامي المرئي: العلاقات العامة، الحوار والتفاوض، إدارة الأزمات، إدارة الرأي العام.

- أدوات اللوبي الإعلامي غير المرئي: الرموز والدلالات، المتعة والأدب والفن، الجماهير والحشود، الأرقام، تدوير الأفكار وتدويلها، الكاريزما.. ونحوها.

- تحالف اللوبي الإعلامي غير المرئي مع المرئي هو تحالف استراتيجي.

- تقدير قوة اللوبي الإعلامي غير المرئي يحتاج لتقدير قوة الأفكار وثقلها في الواقع وكفاءة وصولها عبر اللوبي المرئي.

- فرص الدعم والشرارات تكون أكبر في اللوبي الإعلامي غير المرئي، ويسمح بتقدم من كان متخوفاً من ضبابية الفرصة الجديدة..

حيث تختفي هوية المؤثر وتتجرد الفكرة للمناوشة. هل نحتاج اللوبي الإعلامي غير المرئي؟ يتقدم هذا السؤال في الوقت الذي أشيح عنه، فهو سلاح حضاري استراتيجي عصري يحول دون الإقصاء والكتب والتمرد والانفجار والتطرف، ويمكن أن يدعم التفاهم والتعايش والحوار، المهم ما هي منصة الانطلاق وإلى أين توجه؟ يتدخل الضمير ليأمرني الهمس بوضوح أن من إشكالات اللوبي الإعلامي غير المرئي بناء جدار العزل الفكري، وناتج هذا البناء عملية تحول قيمة الفكر في تحديد أهمية الفرد في هذا العصر إلى القيمة الصفرية، والقيمة الاستهلاكية هي المحدد



التعليم هو ينبوع الذي تتفجر منه
العبقريات، والمنجم الذي تجد فيه الشعوب
مهارتها الكريمة...!!
خليل تقي الدين



إبداعات فنية

رسم - نصوير - شعر



أمل علي آل شبلان

(عقد الجمان)

قسم اللغة العربية بجامعة الإمام، مُعدة دورات في
التفكير الإبداعي، فنانة تشكيلية، مؤلفة كتاب
(جناح الليل)





المكان الخطأ

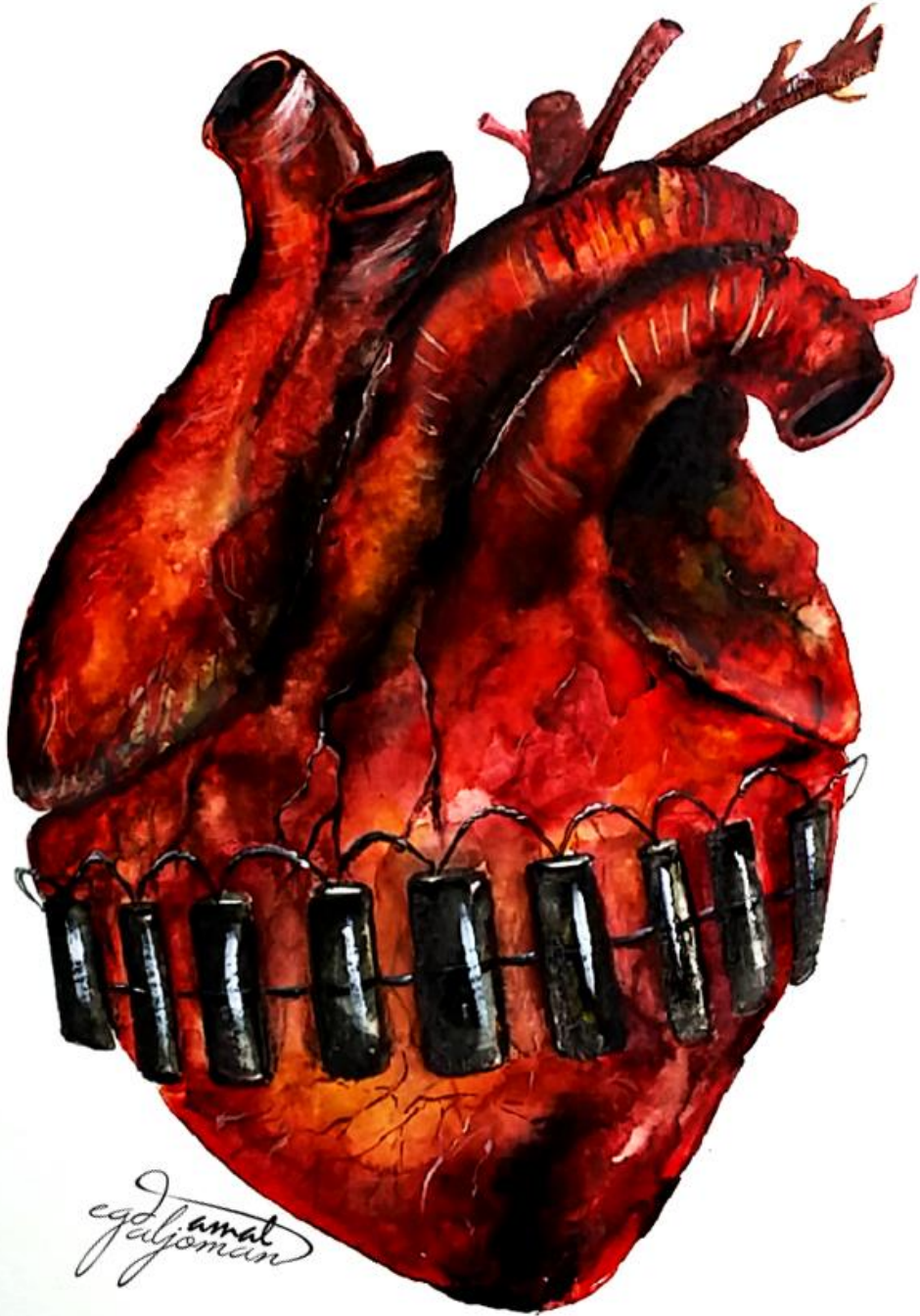
كان المنتظر منا طريقاً صحيحاً، ولكننا أخطأنا الصعود في المتسع من
الجهل نقصد المسافة الآمنة كي نحتمي عجزنا من السقوط !
الطريق المستقيم هو الذي يصل أولاً.. ويصل دائماً.



egoamal
fuljoman

في محاذاة الموت

نعيش قاصرين حتى نكتمل بالموت !



هزام ناسف

أصل الحكاية في مصادر إحساسنا .. في المتسع من القلب الذي نملأه بالعتيق من الأشياء ، في الهوة التي نردمها بالصوت والحديث والنظرات المواربة، في الوقت الذي نبنيه من اختلاق الأفعال وردات الفعل..
انتعل هذه وأنت تسير بقلبك إلى حتفه : التعلق عورة القلب فاستر عورته.



أثر المطر

وحده المطر قادر على إنبات اللهفة، وتحري المصادفة لموعد مؤجل، وحده الآتي على حذر، ينازل البكاء في ساحات المدن التي تسكننا، وحده مخضب بالشجن، بالحزن، بالدموع السماوية، الدموع التي لا تعترف بطعم الملح والحرارة المنهطلة من القلب، نقف في مواجهة المطر كما نقف في مواجهة حلم، في مواجهة الوقت، في مواجهة رحيل!



ego amal
aljomari



روح الأشياء

إفلات الحنين من ضفاف الكفين معضلة، فلماذا نوبخ الحنين وفيه بقايا أبجدية
الشعور، وروح الأشياء، فالنظرة روح العين، والابتسامة روح الثغر، والدفع روح
اليدين، والصوت روح الكلام !



الموت الحقيقي

إننا نخاف تصديق الموت أكثر من
الموت نفسه لأنه فقد حقيقي
وغياب صريح، وليس في وسعنا أن
نبكي على الموت إن كان يخطفنا
دون أن نرتب أشياءنا أو نتصالح مع
أحبابنا أو ننهي من كل أحاديثنا
المهمة !

إنه يأتي فجأة.. يأتي فجأة ولو كان
متدرجاً ثم لا تنقطع الحياة به..
فالموت للحى الحقيقي هو مواصلة
للحياة بحجم آخر وقدر آخر..

amal
eghalyoman



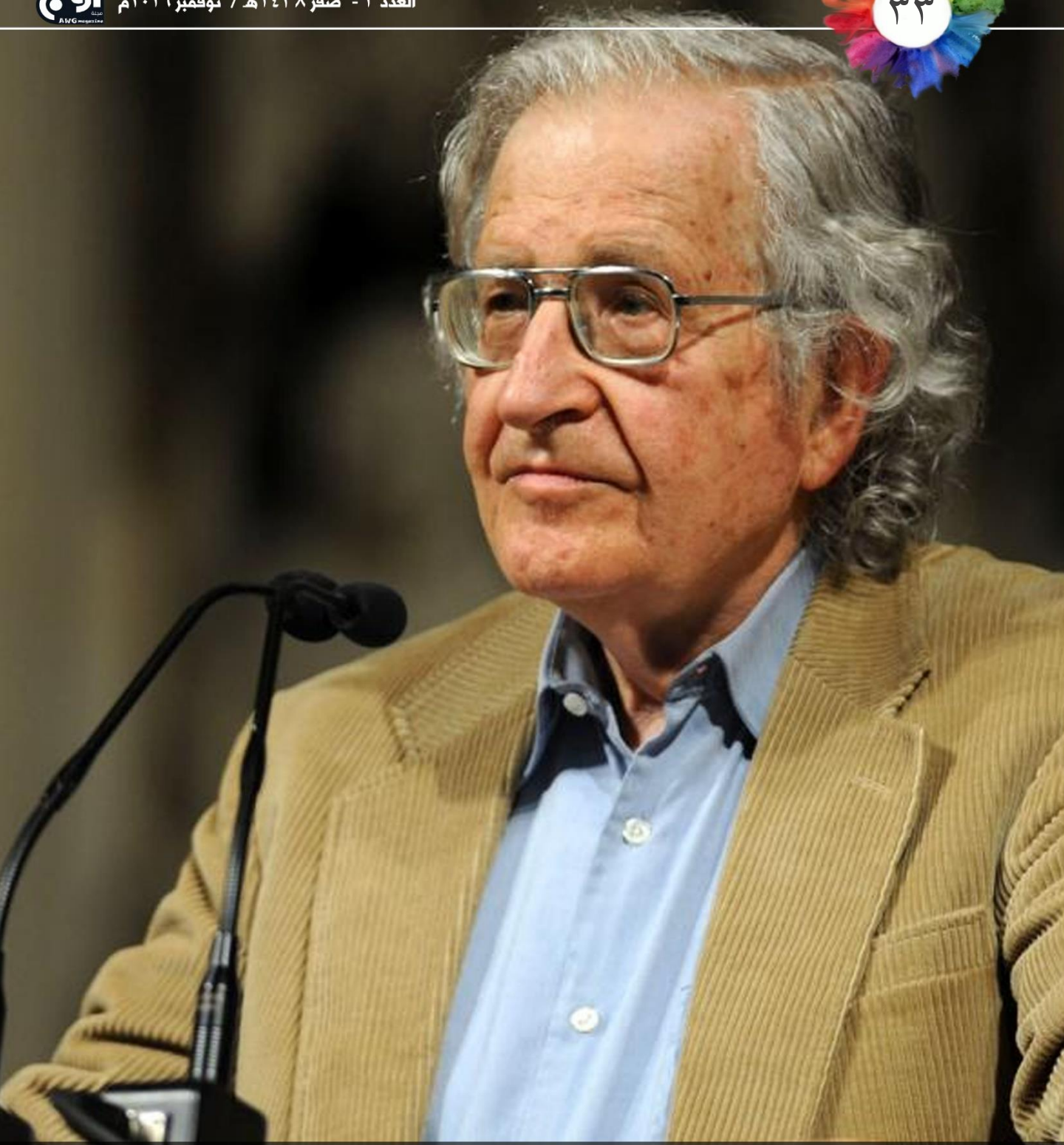
الحرب تدخن قتلاها

تركض الحرب بين الدول.. تنثر خلفها الجثث ورؤوس الأطفال كي تعرف طريق عودتها.. عادت وقد نبتت الجثث أشجاراً وكثرت؛ فاستظلت تحتها تدخن قتلاها !..



قوة التاريخ

يتكئ الواقع على الذاكرة.. يعود إليها كلما انكسر في قلبه عود.. هي الوطن البسيط الذي يعيد الحق والحد.. فالوطن ليس أرضاً ولا جهة، هو الأصل الذي منه جئنا وإليه نعيد قوة التاريخ.



مقابلة العدد :
المفكر العالمي نعوم تشومسكي
ومعها ملحق ترجمة لقاء مصور قصير بعنوان :
أسباب ظهور الدولة الإسلامية ISIS

ومنذ ذلك الوقت يُعد من أبرز ناقدَي السياسة الخارجية لأمريكا وكذلك رأسمالية الدولة ووسائل الإعلام الإخبارية والجماهيرية العامة التي تتلاعب بتوجهات الوعي الشعبي أو المجتمع. وهو مؤلف لأكثر من ١٠٠ كتاب وفقاً لقائمة الإحالات في الفن والعلوم الإنسانية عام ١٩٩٢م، وقد تم الاستشهاد بتشومسكي كمرجع أكثر من أي عالم حي آخر خلال الفترة من ١٩٨٠م حتى ١٩٩٢م، كما صُنف بالمرتبة الثامنة لأكثر المراجع التي يتم الاستشهاد بها في الدوريات الأكاديمية بعد ماركس، لينين، شيكسبير، أرسطو، الكتاب المقدس للنصارى، أفلاطون، فرويد في ٢٠٠٧م من جهة معهد المعلومات العلمية. كما حاز تشومسكي على وصف "أبرز مفكري العالم" في استطلاع للرأي عام ٢٠٠٥م (ضم أكثر من ٢٠,٠٠٠ من المصوتين حول العالم على ١٠٠ شخصية عالمية) وكان حينها في السبعين من عمره. كما أنه يُصنف في زمرة الملحنين (فهو من أصل يهودي ناظم على النصوص الوحشية في العهد القديم أو التوراة المحرفة) مما يجعل نقده للملحنين له وزنه الكبير والمحايد في الخارج. وقد قام فريق مجلة (أوج) باختيار بعض الأسئلة المتنوعة والخفيفة جداً قدر الإمكان (مراعاة لعامل الوقت وكبر السن)، وتمت مراسلة البروفيسور نعوم تشومسكي بها كالتالي...

في كل عدد سنستعرض معكم مقابلة مباشرة أو بالمراسلة كأئلة وإجابات مع إحدى الشخصيات المميّزة عالمياً أو عربياً، وذلك للاستفادة من خبراتها ومن مشوارها الحافل بالآراء والتوجهات التي يجدر بمثقفينا الاطلاع عليها اليوم.

نعوم تشومسكي...

الاسم: أفرايم نعوم تشومسكي Avram Noam Chomsky، مواليد ٧ ديسمبر ١٩٢٨م مدينة فيلادلفيا بولاية بنسلفانيا الأمريكية، وهو من أشهر الفلاسفة والنقاد الفكريين والغربيين والعالميين الذين على قيد الحياة اليوم، فهو بروفيسور في علوم اللسانيات والإدراك والمنطق، وكذلك يُعد من أشهر المؤرخين والنقاد والناشطين السياسيين على الساحة. وقد عمل في معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا MIT لأكثر من ٥٠ عاماً كأستاذ لسانيات فخري في قسم اللسانيات والفلسفة.

بدأت كتبه النقدية السياسية في الشهرة بعد نشر كتابه الأول في اللسانيات (وكذلك نظريته الأولى في قواعد اللغة التحويلية Transformational grammar) حيث أصبح ناقداً بارزاً للحرب الفيتنامية (والتي استمرت ٨ سنوات من ١٩٦٥: ١٩٧٣م).



السؤال الثالث:

باختصار شديد، كيف تحبّ أن تُذكر بعد موتك، ما هي العبارة التي تريد أن تُنقش على قبرك أو تمثالك؟

ليس هذا موضوعاً يهمني.

السؤال الرابع:

العديد من الناس يدّعون أن كارل بوبر قد فصلَ في سؤال المنهج العلمي، فهل هذا صحيح؟

والسؤال الخامس:

هل تعتقد أن رد فعل التيار الرومانتيكي تجاه سبب وعلم التنوير مبرّر؟

جزئياً... وهذا سؤال أوسع من أن يجاب عنه في جواب مختصر.

السؤال السادس:

كتبت في كتابك (اللغة ومشكلات المعرفة) ما يلي: "تعلم اللغة ليس أمراً يقوم به الطفل، هو أمر يحدث له". غير أن نظرية الجينة الأنانية تتجاهل دور التعلم في الكائنات الاجتماعية عموماً؟

بالعكس، فنظرية الجينة الأنانية سواء في التطور أو النمو تأخذ بعين الاعتبار العوامل البيئية بشكل كامل، وليس الأمر متعلقاً فقط بالكائنات الاجتماعية.

وإن كان الطفل مبرمجاً، فبرمجته ليست أوتوماتيكية تماماً كما قد يبدو. يحدث التعلم المبكر في فترات محدّدة جداً من حياة الحيوان، وهو يؤثر بشكل متواصل وعلى المدى البعيد على سلوكه، كما أكدت ذلك إيفا جابلونكا وكذا التركيب التطوري الممتد. هذا دون ذكر "بناء العش" ودور الكائن في تكوين "شكل الحياة".

كل هذه الافتراضات الأساسية لما تسميه (نظرة الجين الأناني) هي وجهة نظر كلّ نظريات البيولوجيا المعاصرة والعلوم المعرفية. لا تزال هناك أسئلة عن الدور الحقيقي للوراثة الجينية والتأثير البيئي، لكن كون كلاهما يؤثر في نموّ وتقدّم حجم ذراعيك إلى تأثيرهما في نظامك البصري إلى تأثيرهما في اللغة التي تتحدث بها، فهو أمر لا شك فيه.

نحن مجموعة من الشباب من مختلف دول العالم العربي، مهتمون بقراءة أعمالكم ومتابعة نشاطاتكم الفكرية، وقد نجحنا في تأسيس مركز يهدف إلى رفع مستوى وعي الناس بالقضايا الدينية والسياسية والاجتماعية للمنطقة. نحن متحمسون جداً لإجراء مقابلة قصيرة معك عبر الإيميل، ومن ثمّ نشرها من خلال مجلة إلكترونية ننوي إطلاقها عبر الإنترنت. سنرسل لكم بالتأكيد نسخة من المجلة وترجمة المقابلة للتثبيت من دقتها.

السؤال الأول:

استمعت إلى محاضرة لك بدوت فيها مؤيداً للسياسي الأمريكي جرهام فولر في تحليله الذي يقول إن داعش هي نتيجة السياسات الأمريكية في العراق بشكل عام، فهل تستطيع التفسير أكثر، فالأمر يبدو غريباً في المنطقة العربية؛ لأن الإعلام المحلي يعزو ذلك إلى المناهج الدراسية؟

هذا هو الرأي الأساسي للبحوث الأكثر دقة، كالدراسة الحديثة التي قام بها فواز جرجس عن أصول داعش على سبيل المثال. أدّى الغزو الأمريكي للعراق إلى الغزو الطائفي. إحدى ثمرات الغزو كانت القاعدة، والتي نشأت منها داعش. فضلاً عن ذلك، قامت الولايات الأمريكية بتصفية البعثيين وحلّ الجيش، فانهى الأمر بكبار الضباط في الجيش إلى الانضمام لداعش، وهذا أحد الأسباب التي جعلت تكتيكاتهم العسكرية فعّالة جداً. التعليم هو أحد الأسباب في استمالة الناس إلى صفوف داعش، وهناك عوامل أخرى عديدة، لكن يظلّ الغزو الأمريكي هو العامل الأهم.

السؤال الثاني:

لماذا نجد بعض الملحدّين الجدد -والذي يفترض أن يكونوا إنسانين بناء على ادعاءاتهم الأخلاقية- يدعمون التعذيب والسياسات الغربية في الشرق الأوسط؟

لأنّ "إنسانيتهم" مجردّ خدعة. ليس هذا بالطبع صحيحاً في حقّ كل الملحدّين الجدد، فهم يختلفون من شخص لآخر.

السؤال السابع:

كيف يمكن لعلم النفس التطوري أن يساعد في فهم منشأ اللغة؟

لم يكن لها أية إسهامات معتبرة في الموضوع إلى الآن، في حد علمي.

السؤال الثامن:

هل تعزو ظهور الملحدون الجدد إلى أحداث ١١ سبتمبر فقط، أم أن هناك أسباباً أخرى متعلقة بالسياسة والدين، وأو الثقافة؟

(الملحدون الجدد) ليسوا فرقة واحدة، ودوافعهم واهتماماتهم مختلفة. عند أكثرهم جدية، مثل لورنس كراوس، فلم تكن أحداث ١١ سبتمبر عاملاً ذا أهمية.

السؤال التاسع:

هل تعتقد أن وسائل الإعلام الشعبية تستغل القضايا الشائكة مثل الإلحاد والتطرف إلى درجة إثارة الجمهور بمعلومات مشوهة وغير كاملة؟

هذا هو الغالب. كتبت عن الأمر بشكل واسع كما كتب غيري أيضاً.

نعوم تشومسكي وأسباب ظهور الدولة الإسلامية ISIS



على الرغم من وجود بعض الانتقادات لأفكار تشومسكي (منها تناقض هجومه على سياسات الجيش الأمريكي في حين أنه الذي مول أبحاثه في اللسانيات) إلا أنه من بين آرائه التي قد يخطئ فيها أو يصيب ما يستحق القراءة، ومنها هذه المقتطفات التي ترجمناها لكم من محاضرة طويلة له قرابة الساعة وربع في المجتمع الأرميني بـ MIT عام ٢٠١٤م، حيث سأله مضيفه عما يقول في الدولة الإسلامية ISIS (أو داعش) وأصولها؟ فأجاب:

هناك مقالة مثيرة للانتباه ظهرت منذ يومين للمحلل عالي الكفاءة جرهام فولر، والذي ترجع خلفيته إلى وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية، وهو أحد أبرز المحللين المهتمين بالشرق الأوسط، وكان العنوان (الولايات المتحدة هي من صنعت الدولة الإسلامية)، وهذه إحدى نظريات المؤامرة التي ينتشر الآلاف مثلها في الشرق الأوسط، ولكن هذا مصدر مختلف، هذا من قلب المؤسسة الأمريكية.

هو لم يقصد أن الولايات المتحدة هي التي مولت وأوجدت الدولة الإسلامية، وإنما فكرته التي أراها دقيقة هي أن الولايات المتحدة هي التي أوجدت البيئة التي نمت وتطورت فيها الدولة الإسلامية. جزء منها كان منهج السحق وتحطيم كل ما لا يعجبك، في عام ٢٠٠٣م غزت الولايات المتحدة وبريطانيا العراق، وهي الجريمة الكبرى، في ظهيرة ذلك اليوم منح البرلمان الإنجليزي الحكومة السلطة في ضرب العراق مرة أخرى، الغزو كان مدمراً للعراق، كان العراق مدمراً تماماً.

أولاً بالحرب الطويلة مع إيران، والتي كانت الولايات المتحدة تساند فيها العراق، ثم عشر سنوات من العقوبات، والتي وصفها

المنظمات الدولية المحترمة إبادة جماعية للعراق، لقد دمروا المجتمع المدني العراقي وساندوا الطغاة، وحثوا الجماهير للاعتماد عليهم بحثاً عن النجاة.

وربما كان هذا السبب أنهم لم يرسلوه إلى المكان الذي يتخلصون فيه من الطغاة، وأخيراً قررت الولايات المتحدة أن تهاجم البلاد في ٢٠٠٣م.

كان الهجوم بالنسبة لكثير من العراقيين كالغزو المغولي منذ ألف سنة، الغزو كان مدمر للغاية، قتل مائة ألف شخص، ملايين اللاجئين، ملايين المهجرين، تدمير آثار وثروات البلاد التي ترجع إلى الحضارة السومرية.

وأحد نتائج الغزو كان إرساء الانقسامات الطائفية، أحد مصممي الغزو كان مدير القوات بول بريمر، كانت مهمته فصل السنة عن الشيعة، إبعادهم عن أي حوار مشترك.

وفي خلال عدة سنوات تضخم الصراع الطائفي يدعمه الغزو، ويمكنك تمييزه بوضوح جداً بالنظر إلى بغداد.

إذا نظرت إلى خريطة بغداد عام ٢٠٠٢م، مثلاً ستجد مدينة مختلطة، السنة والشيعة يعيشون في نفس الأحياء، يتزاجون ولا يميزون بين من هو سني ومن هو شيعي، مثلما لا تعرف صديقك أهو من هذه الجماعة أم تلك، كان هناك اختلافات ولكنها لم تكن محورية.

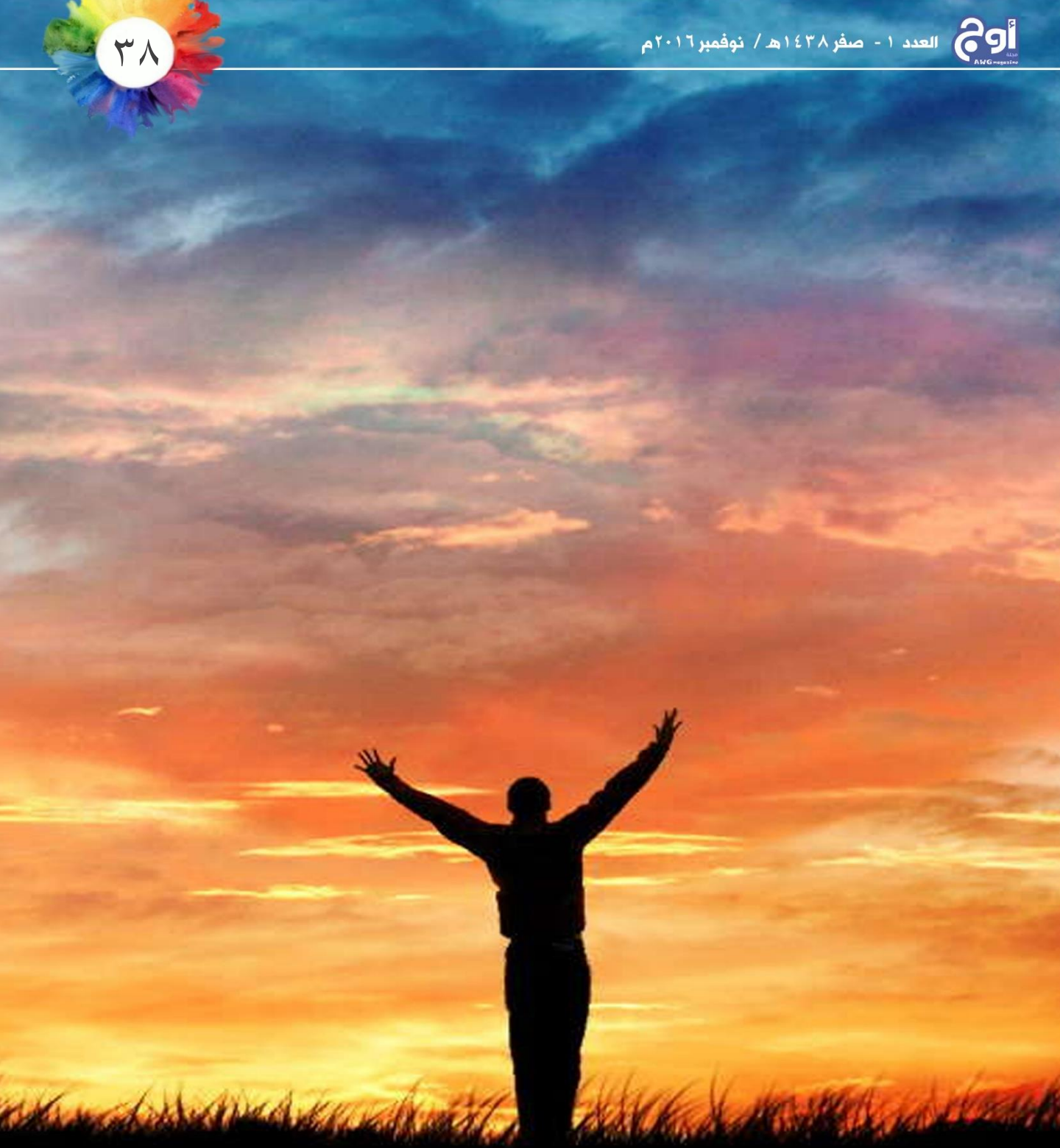
في الحقيقة لقد ظل الجانبان لسنوات يؤكدان على أنه لن يقع صراع بين السنة والشيعة، نظراً لطبيعة حياتهم واندماجهم وتقاربهم.

ولكن في ٢٠٠٦م كانت هناك حرب شرسة، مما تسبب في انتشار هذا الصراع إلى المنطقة بأكملها، الآن المنطقة كلها ممزقة بسبب صراعات السنة والشيعة.

هذا الهجوم على المنطقة من جهة الولايات المتحدة وبريطانيا، هو مصدر نمو كل هذا التطرف، الولايات المتحدة هي من أنشأت الدولة الإسلامية في سوريا والعراق.

ولا بد أن تتأكد من أنه كلما نمت الصراعات كلما زاد المتعصبون، وستمتلك الجماعات المتطرفة زمام الأمور، هذا ما يحدث عندما يكون العنف هو سيد الموقف، هذا رد فعل أوتوماتيكي، ولقد أثبت صحته في المنطقة وفي النظريات الدولية، وهذا ما يحدث فعلاً.

من هنا خرجت الدولة الإسلامية. وإذا استطاعوا تدمير الدولة الإسلامية فإن النتيجة ستكون المزيد من المتطرفين.



الحريةُ شمسٌ يجب أن تشرقَ في كل نفس، فَمَنْ عاش
محروراً منها؛ عاش في ظلمةٍ مالكةٍ يتصل أولها بظلمة
الرحم، وآخرها بظلمة القبر ..!!

مصطفى لطفي المنفلوطي

كيف تكتب ١٠ آلاف كلمة في اليوم؟

ترجمة: خيال خالي
طالبة بكلية اللغات

نصائح قبل البدء:

١- معرفة ما ستكتبه قبل أن تبدأ

٢- تخصيص وقت للكتابة

٣- الحماسة تجاه ما تكتبه





٤- قسّم طاقتك

لا تقصّ كل ما تبذله من الطاقة في آن واحد. حيث من المغري جداً دفع نفسك بجد في البداية حتى تصل إلى الهدف الخاص بك عاجلاً. ولكن من خلال خبرتي، فإن هذا يمنحك السرعة فقط. ولتجنب نفاذ طاقتك، اكتب بوتيرة ثابتة طوال اليوم. فإن هذا سوف يجعلك تحافظ على روتين يومي، ومن ثمّ يحميك من التعب والإرهاق البدني والعقلي.



اتضح لي أن الأسهل هو ما تم الالتزام به من خلال جدول.

٥- أثناء الكتابة: أغلق الإنترنت

فلا تدع التسويف أو الانتهاء بتناول الطعام في وقت كتاباتك يصرفانك عن هدفك الأكبر. يجب البقاء على المسار الصحيح، فأنت في حاجة إلى كل دقيقة من سباقات السرعة الخاصة بك، لذلك يجب إيقاف شبكة الإنترنت عندما يبدأ سباق الكتابة. ولا توقف الكتابة حتى تنتهي. وبعد ذلك يمكنك الحصول على مكافأة لنفسك بعد الانتهاء من الكتابة لتتصفح الإنترنت ووسائل التواصل الاجتماعي لبعض الوقت.

٦- لا تقم بذلك بمفردك

لا يوجد شيء أكثر تحفيزاً من وجود مشجعين لك. لأنهم بمثابة الصوت الذي يحفزك بقوة لإنجاز هدفك، سواء كانوا زملاء الكتابة على شبكة الإنترنت، أو أصدقائك، أو أسرتك، أو أشخاص يعيشون معك.

وإذا استطعت قم بعمل مقارنات مع نفسك حول سرعة كتابة الكلمات، واستمر في ذلك حتى يمر الوقت. وتذكر أن إخبارك للناس الذين تعيش معهم حول ما تقوم به يجعل الأمر داعماً لك بشكل كبير.

١- قسّم هدفك

قم بتقسيم هذا العدد الكبير من الكلمات إلى عدد أصغر، كأن تقسمه على عدد الساعات التي كنت تخطط لكتابتها في اليوم. لقد وجدنا أنه من ١٠ إلى ١٢ ساعة هو المقدار الأمثل من الوقت للكتابة.

فللحصول على هذا العدد من الكلمات ١٠ آلاف نقسمه على ١٢ ساعة فيكون الناتج تقريباً ٨٣٤ كلمة في الساعة (تقريباً ٤ أو ٥ صفحات). فإذا كنت تريد أن تأخذ ساعة لتناول العشاء وساعة أخرى لقضاء استراحة طويلة، ثم تريد أن تصل إلى كتابة ألف كلمة في الساعة. فهذا ليس مستحيلاً. أما إذا كنت من ذوي السرعة العالية، فربما يمكنك القيام بهذا العدد من ٢٠ إلى ٤٠ دقيقة.

٢- اصنع جدولاً

بعد أن قمت بتحديد حصتك من الكلمات في كل ساعة كما في الخطوة ١ السابقة: قم الآن باستخدامها لعمل جدول زمني ليومك.

فمن خلال الأيام الثلاثة التي أنجزت في كل يوم منها كتابة ١٠ آلاف كلمة اتضح لي أن الأسهل هو ما تم الالتزام به من خلال جدول.

مثلاً... كم استغرق منك الأمر لتحديد أهدافك في الساعة ؟

٢٠ دقيقة ؟

٣٠ دقيقة ؟

٤٠ دقيقة ؟

قم بالاختيار، ثم احسب عدد الكلمات التي استطعت خلالها أن تكتب هدفك في وقت محدد. ثم احصل على استراحة قصيرة قبل العد التالي، ولكن لا تنسى أن هذه هي الوتيرة التي يجب أن يتم السير عليها ومواكبتها في كل يوم.

٣- خطط للحصول على فترات راحة منتظمة

عند إنشاء الجدول الزمني الخاص بك، فإنه من السهل التركيز على الوقت الذي استغرقته في كتابة الكلمات، لكن انتبه، احذر من نسيان ما عليك القيام به ولا تشغل فقط بسباقات السرعة، فإن فعلت ذلك فستقع في أعظم خطأ. ففي تلك الأثناء لن تفعل شيئاً أكثر صعوبة من الكتابة.

لكن الكتابة يمثل هذه الطريقة تشبه المشي المتواصل في صحراء قاحلة لمدة ثلاثة أيام متتالية.

قم بالتغلب على الإرهاق والتعب الجسدي من خلال تمارين الاسترخاء مثل اليوجا وغيرها.



كتب مختارة

فريق النشر

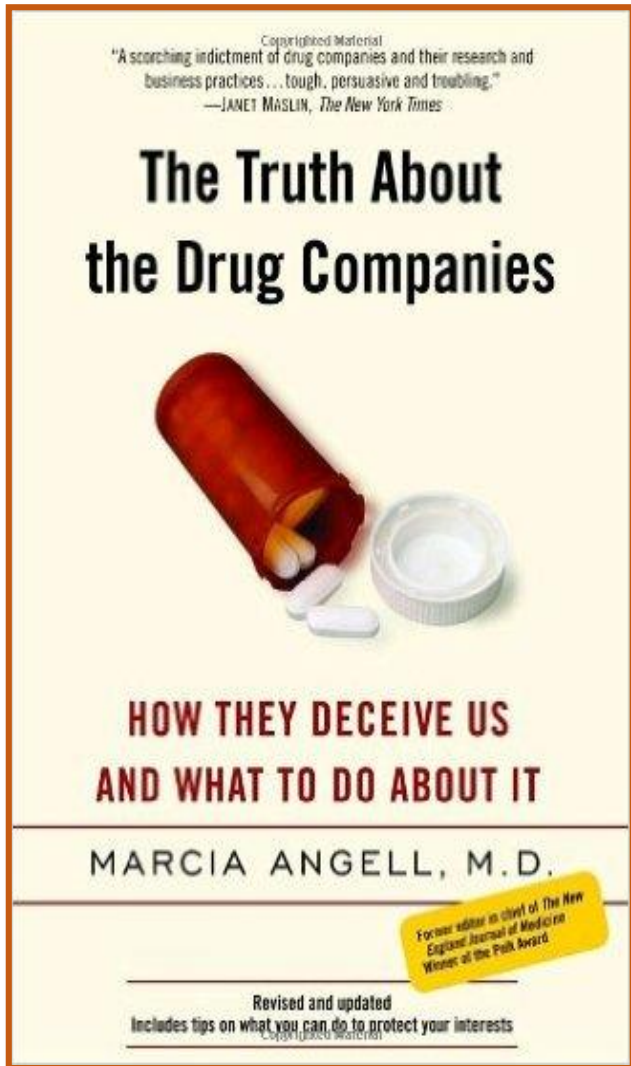
١ - حقيقة شركات الأدوية...

كيف يخدعوننا وماذا نفعل بخصوص ذلك؟

The Truth About the Drug Companies: How They Deceive Us and What to Do About It.

الكتاب من إصدارات عام ٢٠٠٥م، وهو للدكتورة مارسيا أنجل Marcia Angell والتي تتحدث من خلال تجربتها قرابة العشرين عاماً في دورية طب إنجلترا الجديدة The New England Journal of Medicine.

وهو من الكتب الرائدة منذ بدايات القرن الحادي والعشرين التي تناولت كشف هذا الوجه الخفي لصناعة الدواء وخاصة في أمريكا (تمتلك أمريكا وحدها ٦ شركات من أكبر ١٢ شركة أدوية عالمياً)، حيث تابعها من بعدها أكثر من كاتب، منهم على سبيل المثال لا الحصر آلان كاسيلس Alan Cassels في كتابه: بيع المرض: كيف تقوم أكبر شركات الأدوية في العالم بتحويلنا جميعاً إلى مرضى Selling Sickness: How the World's Biggest Pharmaceutical Companies Are Turning Us All Into Patients. والذي تتبع فيه مئات المليارات التي يتم صرفها لإقناع الأصحاء بضرورة التداوي حتى من الآلام والأوجاع العادية المقبولة، حيث ذكر مقولة هنري جادسن Henry Gadsden لمجلة الثروة Fortune منذ أكثر من ٣٠ عاماً وهو رئيس شركة أدوية ميرك Merck الأمريكية العالمية الشهيرة: أنه يحلم باليوم الذي تنتج فيه شركته ميرك الدواء كما يتم إنتاج الحلبة للناس، باليوم الذي تباع فيه لكل أحد Sell to everyone.



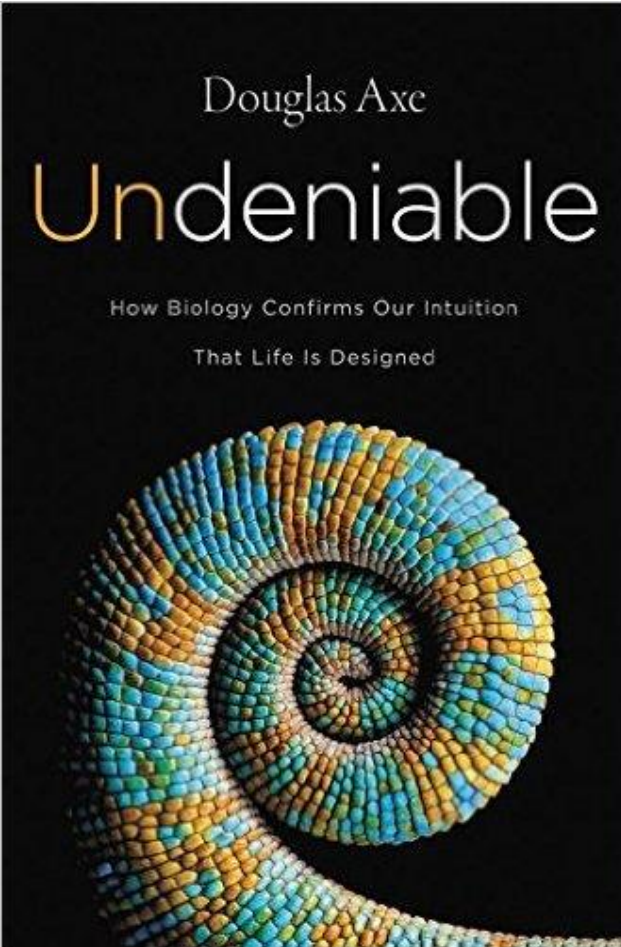
٢- غير قابل للإنكار...

كيف أكدت الأحياء بدهانتنا بأن الحياة مُصممة؟

Undeniable: How Biology Confirms Our Intuition That Life Is Designed.

الكتاب من إصدارات عام ٢٠١٦م، وهو لمهندس البيولوجيا الجزيئية دوجلاس أكس Douglas Axe، حيث يهدف إلى إظهار مدى تأكيد الكشوفات العلمية والأحيائية في السنوات الأخيرة على بديهية يدركها كل إنسان عاقل في أن الكائنات الحية مُصممة، وبالمطبع التصميم المقصود هنا هو علامات الخلق والتقدير الحكيم والصنع المتقن (إذ لا يجوز شرعاً وصف الله تعالى في الإسلام بالمصمم ولا بالذكي إلخ).

ولكي نفهم قيمة هذا الكتاب، فنحن بحاجة هنا لنرى ماذا ينشر الملاحظة المتسترين بالعلم للأسف في ذلك، فنجد مثلاً عالم الحيوان الملحد التطوري ريتشارد دوكنز يقول في أول صفحة من كتابه: (صانع الساعات الأعمى): The Blind Watchmaker:



وبالعودة إلى كتابنا...

نجد الدكتور مارسيا أنجل ومن خلال تواجدها في المقاعد الأمامية تروي لنا مشاهدتها لكيفية تحول أكثر شركات الأدوية من مهمة البحث عن وإنتاج الأدوية المفيدة؛ إلى آلات تجارة وسيطرة غير مسبقة تقودها ثرواتهم الكبيرة.

شاهدت كيف اكتسبت تلك الشركات مع الوقت نفوذاً كبيراً على الأبحاث الطبية، والتعليم، بل وعلى طريقة أداء الأطباء لأعمالهم، لقد تعاطفت وتأثرت بغلاء أسعار الأدوية (مثلها مثل بقية الشعب الأمريكي وخاصة كبار السن)، ولكنها فشلت في كفاحها للحيلولة دون ذلك للأسف.

ولكنها الآن -وفي هذا الكتاب الجريء والصادم- تكشف الدكتور مارسيا حقيقة ما صارت إليه صناعة الدواء لتنادي بصيحة التغيير الشامل الذي ينتظره الناس.

فالأمريكيون اليوم ينفقون قرابة ٢٠٠ مليار دولار سنوياً على الأدوية، وفي حين تبرر شركات الأدوية غلو الأسعار بأنه يتم إنفاقها على الأبحاث والتطوير، إلا أن الدكتور مارسيا تنكر ذلك، وتخبر بأن الجزء الأكبر من مواردها يتم إنفاقه على تسويق منتجات مشكوكه الفائدة.

كذلك فإنها تستخدم جزءاً من الأرباح مع قوتها ونفوذها لتمير أجنداتها للكونغرس، وإدارة الغذاء والدواء FDA، والمراكز الطبية الأكاديمية.

أيضاً تتعرض الدكتور مارسيا بالتفصيل إلى كيف تظهر وتشتهر بعض الأدوية بعينها على الساحة، وتبين الدور الخفي الذي تلعبه مؤسسات التمويل للأبحاث في ذلك.

بل وتذكر كيف يتم التلاعب في بعض النتائج السريرية لإضفاء إمكانيات لبعض الأدوية ليست فيها، وأخيراً...

كيف تمتلك هذه الشركات جيوش من المحامين في وجه قضايا حقوق التسويق إذا ما قامت بإنتاج أدوية تحاكي وتقلد أدوية أخرى أصلية ولكنها أقل في الفعالية.

وفي النهاية...

تتحدث الدكتور مارسيا عن الحل، وعن مدى الحاجة لحماية صناعة الدواء الأمريكية حتى من نفسها، وفي ذلك تقترح الدكتور برنامجاً للإصلاحات الأساسية، والذي يتمثل في استعادة النزاهة إلى البحوث السريرية، وقطع العلاقة بين شركات الدواء وبين التعليم الطبي، لتخرج لنا أبحاث عميقة صادقة حتى لو خالفت رغبات شركات الأدوية الخارجة عن السيطرة.



كاليفورنيا للتكنولوجيا، وكذلك شغله لمنصب أستاذ وباحث ما بعد الدكتوراه في جامعة كامبريدج، وأيضاً عمله في كلٍ من مركز البحوث الطبية ومعهد بارهم في كامبريدج.

ولذلك نجد الاستشهاد بالكثير من أعماله في مجلات معروفة مثل: (دورية علم الأحياء الجزيئي) Journal of Molecular Biology و(الأكاديمية الوطنية للعلوم) PNAS، وكتب شهيرة مثل: (التوقيع في الخلية) Signature in the Cell و(شك داروين) Darwin's Doubt و(حل الحياة) Life's Solution.

ونختم هنا بالنبذة التشويقية عن الكتاب حيث جاء فيها: "طوال حياته المهنية المتميزة وغير التقليدية ومهندس الأحياء الجزيئية دوجلاس آكس يوجه أسئلته التي اختارت أغلب الأوساط العلمية أمامها الصمت.

الآن، يقدم تلخيص ذلك في هذا الكتاب الشجاع والرائد. يقول دوجلاس آكس أن مفتاح فهم أصلنا هو "بديهية التصميم" Design intuition، وهي الإيمان الفطري الذي يتفق عليه كل البشر في أن الأشياء التي تحتاج إلى معرفة في التعامل معها لا يمكن إلا أن تصدر من جهة لديها هذه المعرفة، وأما شيء عظيم الإبداع مثل خلق الحياة فلا يمكن أن يكون إلا لله فقط.

انطلاقاً من القاعات المقدسة للعلوم الأكاديمية، بدأ دوجلاس آكس تفكيك الاعتقاد السائد بأن نظرية التطور لداروين هي صحيحة بلا منازع، مبيناً للناس أن هناك فجوة كبيرة كانت في منتصفها منذ البداية.

ومن هنا يوضح في إنجليزية سهلة: العلم الذي يثبت أن بدهيتنا عن التصميم صالحة علمياً.

وأخيراً، فهو يستخدم خبرة التجربة اليومية لتمكين الناس العاديين من الدفاع عن بديهية التصميم لديهم، ويمنح أولئك الناس الثقة والشجاعة ليشرحوا لماذا يجب أن تكون تلك البديهية صحيحة، مع تخيل ما ستصبح عليه الأحياء أو البيولوجيا عندما ينتصر الناس لهذه الحقيقة.

وبالتسليح بهذه الثقة، سيستطيع القراء تأكيد ما هو ظاهر لنا جميعاً ألا وهو:

أن الكائنات الحية من البكتيريا الزرقاء وحيدة الخلية إلى حيتان الأوركا والبشر: تصور لنا براعة ما هو بعيد تماماً عن قدرات الصدفة !!

فبدهيتنا كانت صحيحة طوال الوقت".

"الأحياء هي دراسة الأشياء المعقدة التي تعطي انطباعاً بأنها قد صُممت لغاية".

Biology is the study of complicated things that give the appearance of having been designed for a purpose.

ومثله فيلسوف العلوم الدارويني مايكل روز Michael Ruse الذي يقول في كتابه: (داروين والتصميم) Darwin and Design صفحة ٢٦٨:

"نحن نعامل الكائنات الحية -أعضائها على الأقل- كما لو كانت مُصنَّعة، كما لو كانت مُصمَّمة، وعليه نحاول بعد ذلك تفعيل وظائفها".

We treat organisms—the parts at least—as if they were manufactured, as if they were designed, and then we try to work out their functions.

وبالعودة إلى كتابنا...

نجد مهندس البيولوجيا الجزيئية دوجلاس آكس يُعيد الثقة بالعقل والمنطق إلى محلها الطبيعي مرة أخرى، وذلك بالتأكيد على أن بدهة الإنسان وحده وفطرته البسيطة تؤكد أن أي عمل معقد ومركب له غاية؛ فيجب له من صانع (بغض النظر عن رؤيتنا ورصدنا لهذا الصانع أم لا)، وأن هذه البدهة هي التي انتصرت لها اكتشافات العلم الحديث وخاصة في مجال البيولوجيا الجزيئية المختص بدراسات عالم الخلية المذهل وما فيه من وراثة وعضيات وبروتينات وغيرها. مما يثبت استحالة تكون كل ذلك بالصدفة والعشوائية كما يقتضي التطور، يقول دوجلاس آكس في نبذته عن كتابه:

" الشيء الأكثر تميزاً في نظرية التطور هو طريقتها التي تتطلب منا إنكار بدهيتنا في كل خطوة تقريباً، ثم التطوريون بعد ذلك يؤكدون لنا أن العلم قد اكتشف كل شيء، ولذلك فلسنا في حاجة لإشغال رؤوسنا الغبية بعلاقته بالأحياء".

والحقيقة أن النقد الذي يقدمه دوجلاس آكس في أعماله -سواء أبحاثه أو في هذا الكتاب- فهو يركز فيه على القيود العملية الوظيفية والهيكليّة التي تقف في وجه مزاعم تطور البروتينات خصوصاً، وكذلك مزاعم تطور أنظمة البروتين.

كما نلاحظ أنه لا يكتفي بمجرد ذكر الاستحالة النظرية، وإنما يقدم للجميع أدلته من خلال التجربة العملية والمحاكاة الحاسوبية، حيث يستغل في ذلك خبرته السابقة ودراسته للدكتوراه في معهد



٢- مَنْ الذي دفع للزَّمار ؟

الحرب الباردة الثقافية...

Who Paid the Piper?: The Cultural Cold War

صدرت أولى طبعات الكتاب عام ١٩٩٩م وآخرها عام ٢٠١٣م، وهو للمؤرخة والصحفية فرانسيز ستونر سوندرز Frances Stonor Saunders، ويتميز باستعراضه لأحداث هامة (رغم كونها سرية وقتها) ترجع إلى منتصف القرن العشرين (بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية ١٩٤٥م وظهور الحرب الباردة بين روسيا وأمريكا ١٩٤٧م تقريباً)، حيث أدركت القوتان العظمتان أنه باختفاء (النازية) فإنه قد صار على كلٍ منهما كسب ما يمكن كسبه من موالين له في مختلف دول العالم وخاصة أوروبا. وبالفعل بدأت الحرب الباردة (سُميت باردة لأنها بغير سلاح)، فاتجهت روسيا لاحتواء دول شرق أوروبا الأقرب إليها مكاناً والتي تحمل لها جميل تحريرها من النازية، فعملت روسيا على تعزيز النزعة الشيوعية لديهم بتشجيع وتمويل الأحزاب الشيوعية وحركاتها الثورية وشخصياتها البارزة.

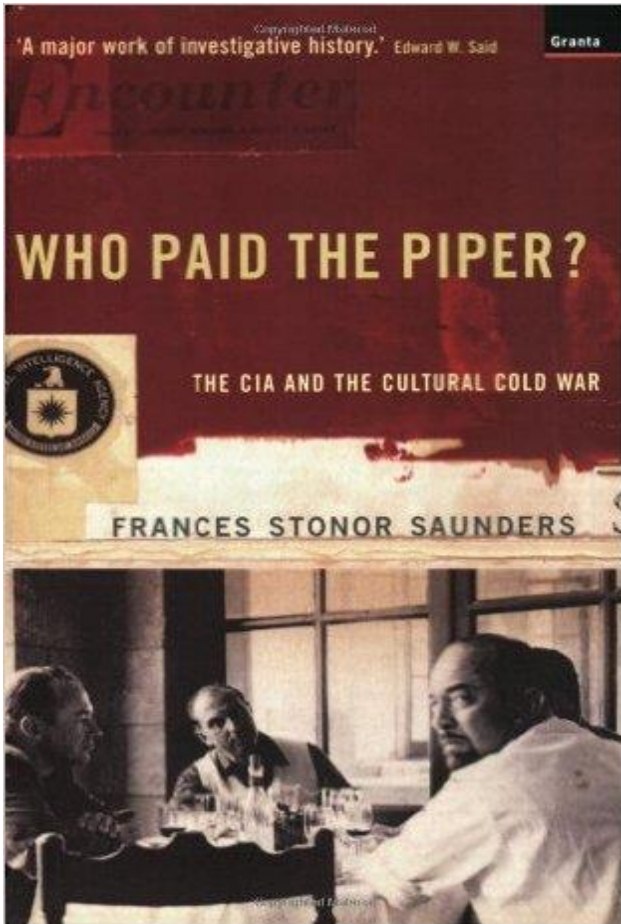
وفي المقابل لم تقف أمريكا مكتوفة اليدين لترى خسارة الرأسمالية، بل عملت على التقرب إلى دول أوروبا جميعاً عن طريق المساعدات الاقتصادية لاسيما للدول المتضررة من بعد الحرب العالمية الثانية، وكان الأمر ظاهراً ومستفزاً للسوفييت لدرجة انتقاده علناً وتسميته باسم (استعمار الدولار).

وهكذا دار السجال بين تحالفات أمريكا واستغلالها للأمم المتحدة في مقابل تحالفات روسيا وإنشائها لحلف وارسو، ولكن ما يهمنا هنا هو ما قامت به أمريكا لنشر ثقافتها وأفكارها بطريقة (غير محسوسة) بين الدول؛ وذلك رداً على محاولة السوفييت فعل نفس الشيء بإنشائهم داراً للثقافة في برلين الألمانية، حيث قامت أمريكا باستحداث جهاز المخابرات C.I.A عام ١٩٤٧م والذي سيتولى الجانب الثقافي في الحرب الباردة. ورغم تعدد المهام الموكلة إليه، إلا أنه جمع بينها ضرورة التأثير من بُعد، أو التأثير غير المباشر، أو كما نقلت فرانسيز في أول مقدمة كتابها مقولة ريتشارد كروسمان Richard Crossman: "أفضل طريقة لعمل دعاية ناجحة؛ هي ألا يظهر عليك أبداً أنك تعمل شيئاً".

كانت المهمة الأساسية لهذا الجهاز هي محو ومطاردة كل محاولة لنشر الفكر الشيوعي في العالم ولاسيما أوروبا وأمريكا نفسها. ولم يكن هناك حدود للأدوات المسموح استخدامها أو التلاعب بها،

فمن الثقافة والفنون والموسيقى والآداب إلى الفن والسينما، بل لعل القارئ يفاجأ بذكر الكاتبة لبعض أسماء المشاهير في خلال تلك الحرب الباردة من الطرفين (مثل الممثلين شارلي شابلن ومارلون براندو من الجانب الشيوعي، والرئيسين الأمريكيين أيزنهاور ورونالد ريجان من الجانب الأمريكي). وذلك يشير كما تذكر الكاتبة إلى الكثير من الأشياء والتوجهات المدسوسة في رسالات غير مباشرة وأعمال ونشاطات وجمعيات ومؤتمرات.

بل تتخطى فرانسيز ذلك لتتحدث عن فترة من أخرج الفترات في التاريخ الأمريكي عندما تم إطلاق قانون الرقابة على الثقافة ١٩٥٣م، وما تبعه من مراقبة لصيقة لكل من تحوم حوله شبهة العلاقة بالشيوعية أو الترويج لها، بل والتدخل الجبري إذا لزم الأمر في مسار الفن والأفلام والمجلات والكتابات والأشعار وحتى جوائز نوبل في الأدب! وفي النهاية تؤكد الكاتبة على أن الثقافة والآداب والفنون كانت أداة تحقيق الأهداف دون إطلاق رصاصة واحدة، وهو ما تم إلحاقه مؤخراً بمنظمة التجارة العالمية W.T.O. في برنامج الحرية الثقافية الذي يهدف إلى حجب أي دور رقابي من حكومات الدول على ما يصل إلى مواطنيها..!!





أحب الكتب ..

لأن حياة واحدة لا تكفي !!

عباس محمود السقا



أوج

مجلة

AWG magazine

ما جعل الله الإبداع فينا إلا لأن يظهر

تدعوكم أسرة مجلة أوج إلى المشاركة في
مقالاتها المفيدة والمتنوعة

بإرسالها على الرابط التالي:

Dalailcentre@gmail.com



يوتيوبيا

عقول شاذة

سامي أحمد الزين

باحث إرثيري، راصد لحركة الإلحاد الجديد منذ ٢٠٠٨م مع اهتمام خاص بفيديوهات المقابلات والمناظرات، صدر له كتابان: (قطيع القطط الضالة) و(نظرة خلف الستار).

رؤيتهم فإن السلوك الذي يتسبب في تحسين حياة الكائن يتم اصطفاءه طبيعياً لأن منفعة ذلك السلوك تجعل الكائن أقدر على البقاء من غيره، وبالتالي أقدر على نشر جيناته بتناسله، بهذا يكون السلوك الشاذ متعارض بالكلية مع قولهم بالانتخاب الطبيعي الذي لم يكن ليتوانى عن إقصاء الأفراد الذين يميلون إلى فعله لأنهم لا يتزاوجون مع الجنس الآخر، وبالتالي لا يقومون بنشر جيناتهم التي ستختفي بموتهم، فكيف بقي هذا السلوك إذا؟ يوجد على اليوتيوب مقطعان معروفان لرأس الإلحاد الجديد البيولوجي الدارويني البريطاني ريتشارد دوكنز Richard

ماذا لو كانت الأديان السماوية تسمح بالشذوذ الجنسي، بل وربما تدعو إليه أيضاً بدلاً من تحريره وفرض العقوبة على مقتريه؟ قد يبدو سؤالاً غريباً، لكن أهميته ستضح في نهاية هذا المقال. لذلك سأبدأ هنا بسؤال آخر: عادة ما يدافع الدارونية والتطوريون عن السلوك الجنسي الشاذ بقولهم إنه نتج اعرضي By-product لتطوريتهم؛ لذلك لا تجب المحاسبة عليه، بل يجب اعتباره حرية شخصية لفاعله. لكن.. هل خطر على بال أحدنا ما هو التفسير الذي يقدمه رؤوس التطورية الداروينية لذلك السلوك الذي يتعارض بالكلية مع اعتقادهم بالانتخاب الطبيعي؟ حسب

تفسير علمي منطقي؛ فمن المعروف أن أحد الحلول المثلى لتقوية موقفك **الضعيف** هو حشوه بالكثير والكثير من **الكلام الفارغ**، لأن عبارات مثل: لا أعرف، أو: لا يوجد هناك تفسير لهذا، أو: تعجز نظريتي عن تقديم شرح معقول لهذا فضلاً عن إثباته، مثل هذه العبارات لن تكون فقط اعترافاً صريحاً بالخطأ أمام **المنتقدين** بل ستكون أيضاً سبباً في جذب **الفضوليين** من غير المهتمين الذين عادة ما ينظرون إلى كلام **دوكنز** مثلاً على أنه رأي **مقبول**، ويعتبرون المسألة بذلك قضية **مختلفة** عليها، وهذه بالطبع إحدى الغايات من ذلك الحشو، وبالطبع لم يكن الحال ليكون كذلك لو أنه قال صراحة: لا أعرف أو ليس لدي أي تفسير.



بقي أن أذكر الرأي الذي تبناه **دوكنز** وهو:

٣- حينما نتحدث عن كون جين أو مورث ما مسؤولاً عن أمر معين، فإن ذلك الجين لا يملك ذلك التأثير بشكل **محتتم** لا مفر منه، بل إن الجين يكون مؤثراً **بحسب البيئة** التي يوجد فيها. لذلك: "يمكن أن يكون الجين الذي يملك تأثيراً يجعل من الذكر شاذاً في البيئة الحالية.. ألا يكون ذا تأثير مماثل في بيئة مختلفة". ثم ذكر مثلاً افتراضياً بحتاً وهو: ماذا لو أن الرضاعة الصناعية مثلاً تقوم بتفعيل ذلك الجين وتجعله مؤثراً، مما يجعل الولد الذي يملك ذلك الجين شاذاً في حال تم إرضاعه صناعياً ويكون طبيعياً (غير شاذ) في حال تم إرضاعه طبيعياً. يقول: "قبل اختراع الرضاعة الصناعية لم يكن ذلك الجين ليظهر على شكل شذوذ جنسي، لذلك ربما ما ننظر إليه الآن هو تأثير مختلف للجين نفسه"، ثم قال بسرعة: "الآن؛ أنا لا أميل إلى ذات تلك الفكرة على الإطلاق، أنا أجدها مثلاً جيداً لشرح النقطة: أن تأثير الجين ليس مرتبطاً به بشكل حتمي، بل يعتمد على البيئة التي يكبر فيها الفرد" انتهى.

إن ما أطلبه من القارئ الكريم ملاحظة كلام **دوكنز** في عدد المرات التي استخدم فيها عبارة: **ماذا لو؟** What if قبل ذكر تلك

Dawkins، يحاول فيهما شرح (**معضلة**) الشذوذ الجنسي هذه، وفي المقطع المنشور على الحساب الرسمي لمنظمته على اليوتيوب [١] **Richard Dawkins Foundation for Reason & Science** نجد أن **دوكنز** يقول نصاً: "لدينا بالفعل مشكلة **داروينية**". ثم يضيف قائلاً: "علينا أن نسأل أنفسنا لماذا بقي الشذوذ الجنسي عند الذكور عبر الأجيال على الرغم من اعتقادنا بأن الانتقاء الطبيعي كان ليتخلص منه". ثم بدأ جملة التالية بجملة تشير بشكل واضح إلى علمه بوجود التخط الذي ينطوي عليه الإيمان بالانتخاب الطبيعي الصارم وأيضاً الإيمان بأن الشذوذ الجنسي نتاج عرضي لذلك الاصطفاء إذ قال: "هناك عدة أمور تم اقتراحها". ومن لديه أقل معرفة بهذا الرجل يعرف بأنه عادة ما يتحدث بثقة زائدة عن الحد عند حديثه عن أمور مشكلة في معتقداته حتى يعوض ضعف الأفكار بقوة الألفاظ ولو كانت خاوية. لكنه هنا قال بلطف إن ما لديهم كتطوريين ليس أكثر من **مقترحات** تحاول وصف ذلك السلوك الذي ورطوا أنفسهم بتبنيه دون التفكير في تبعات ذلك على فكرتهم الأصلية التي بنوا عليها كل بنيانهم. المهم أن "**المقترحات**" التي ذكرها **دوكنز** للخروج من ذلك المأزق كانت:

١- "**فرضية النحلة العاملة**" وهي تخترع رأياً مفاده أن الفرد الشاذ يكون ذا **نفع** في تربية أبناء أخوته وأخواته، لذلك يستبقه الانتخاب الطبيعي حتى وإن لم يقم بالتزاوج لنشر جيناته! ثم تجاوز هذه "**الفرضية**" بسرعة إلى الفرضية الثانية.



٢- حيث مهدّ قبل ذكرها بأنها **فرضية تميل إلى الخيال**! حيث الذكور الأقوى كانوا يثقون أكثر بالذكر "**المجاهر بشذوذه**" ليبقى عند الإناث والأطفال لرعايتهم، لكن بعض أولئك الذكور كان "**ثنائي الجنس**" فكان يتزاوج أحياناً مع الإناث وبذلك بقيت جيناته! ثم قال بعدها مباشرة بأنه **شخصياً** لا يميل إلى أي من الفرضيتين اللتين ذكرهما. ومن هنا يتضح سبب ذكر (**الشيئين**) السابقين على أنهما



الافتراضات، وكذلك مرادفات كلمة (ربما)، ويلاحظ أيضاً ضبطه لنبرة الثقة المعتادة على **الحد الأدنى**. وهو كما ذكرت سابقاً لا يفعل ذلك في العادة إلا في حال كان موقفه الذي يتشبث به **ضعيفاً إلى حد استثنائي**.

ماذا لو كانت الأديان السماوية تسمح بالشذوذ الجنسي، بل وربما تدعو إليه أيضاً بدلاً من تحريمه وفرض العقوبة على مقترفيه؟

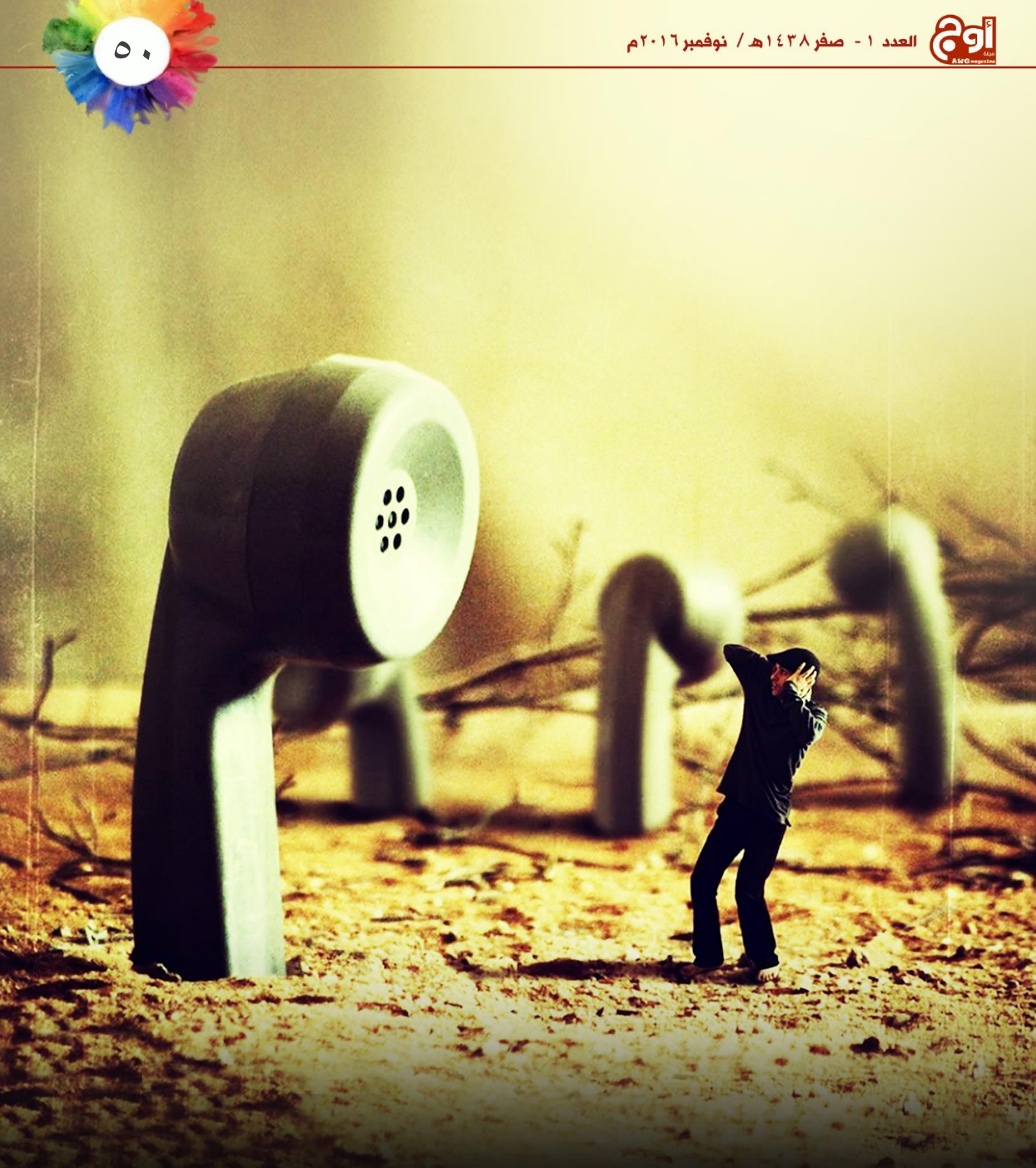
الأمر الآخر هو لماذا نحصر هذه الطريقة الغريبة في التفكير على هذه المعضلة فقط؟ (ماذا لو) استخدمنا نحن نفس الطريقة في التعامل مع الأمور الأخرى التي يعتقد الدراونة أنهم **أثبتوها بشكل قطعي** وطلبناهم بإثبات تأثير نفس الجينات حتى في الأزمنة السابقة؟

إن فتح الباب أمام مثل هذا الافتراض سيكون بلا ريب **وسيلة لإثبات ما لا يمكن إثباته**، بالتالي ادعاء ما لا يمكن إثباته، بل وربما ما **يُثبت خطأه**. فلو قال تطوري ما إنه وجد الجين المسؤول عن أمر معين وقام العلماء **بتحطّته** فإن كل ما عليه فعله هو أن يقول إنه قصد أن ذلك الجين كان **مسئولاً عن ذلك الأمر في السابق**، لكن اختلاف البيئة اليوم جعله **مسئولاً عن شيء آخر!**

ليت شعري... إن لم يكن هذا **عجز عن الشرح** فما هو العجز؟ إذا كان كلام التطوريين في هذه المسألة مقنعاً **لأتباعهم** فهذا دليل قاطع على أن إثبات أي أمر منهم لا يتطلب أكثر من **مجرد الكلام فيه**. وإن لم يقل أرباب التطورية صراحة بأن **تطوريتهم** تعجز عن تفسير سلوك معين -وهم لا يرتكبون تلك الحماقة قطعاً- فإنها عند معتنقيها تبقى **حقيقة** لا يشكك فيها إلا جاهل أحمق.

لنعد الآن إلى السؤال في بداية المقال وهو: ماذا لو كانت الأديان السماوية تسمح بالشذوذ الجنسي، بل وربما تدعو إليه أيضاً بدلاً من تحريمه وفرض العقوبة على مقترفيه؟

الجواب: كان موقف اللادينيين التطوريين سيتغير إزاءه بالكلية ليصبح الشذوذ الجنسي **يتعارض** بشكل واضح وصريح مع العلم -وهو الانتخاب الطبيعي- ولا يوجد سبب منطقي لتفسير وجود الشذوذ سوى أن (الدين) أوهم أتباعه أنه سلوك طبيعي، ولولا ذلك ما بقي، كما أثبت العلم!!!



إن الكذاب والدجال والمُتملق :
يعينتون على حساب من يُصغي إليهم !!

لافوتين



الطريق الثالث

عبدالله بن أحمد الفرحان
باحث شرعي، ماجستير في الفقه المقارن

الغربي، حيث الخيارات والحلول المطروحة التي تركز عليها نظرياته تتجه نحو الواحدية والأحادية والحلول في كينونة حاكمة واحدة، ظهر هذا واضحاً عندما نازع هذا الفكر الكنيسة، فقد نازعها بسلاح واحد؛ العقل، لم ينازعها بمنظومة متكاملة تجمع بين العقلي والروحي، وقد أخذ هذا النوع من العقل بالإنسان إلى الحلول مع المادة، فتعامل مع الإنسان كما يتعامل مع غيره من الظواهر بزعم الفهم والسيطرة، فالكل واحد، والقانون الحاكم واحد، وحتى عند مفصلات واختلافاته تجد الفرق المختلفة تنادي بالواحدية، فنظرية المعرفة التي أصبحت الفلسفة قاصرة عن بيان مراميها [٤] تتنازعها الفرق في الإبداء عن مرجعية واحدة: حديسي، واقعي، تجريبي... إلخ، أما أن تنتج مرجعية جامعة لمنطلقات متكاملة فـ(لا).

تجليات الواحدية في الفكر الغربي كثيرة، فحتى عندما يقرر هذا الفكر التطور فهو يتطور بصورة ساذجة [٥] تنتهي إلى نموذج واحد، بغض النظر عن ماهيته، بدايةً من هيجل ووصولاً إلى فوكوياما صاحب كتاب (نهاية التاريخ)، ثم يقرر وبكل استعلاء أن حضارته هي "الوحيدة" الصالحة بإطلاق، كما عند هينتنجتون صاحب كتاب (صدام الحضارات)، ووحدة العلوم هذه التي نجدها بكل

الفكرة المحورية التي أدار عليها علي عزت بيجوفيتش كتابه (الإسلام بين الشرق والغرب) هي فكرة الثنائية، أو الاستقطاب كما عبر عنها في كتابه الآخر (هروي إلى الحرية) [١] وقد تناولها بلغة شاعرية توزعت على مباحث الكتاب [٢]، حيث وضح كيف أن التفسير الإسلامي يتعامل مع ظاهرة "الإنسان" بتكامل محكم وتوازن في التعاطي مع الاحتياجات المادية والمعنوية معاً، دون اختزاله في طبيعة أو نزعة منحازة أو بعد معين، وقد اجتهد علي عزت بيجوفيتش في الإفصاح عن هذا المعنى بصور شتى، وأظهر كيف أن التعامل "البيني" المتوازن والمتكامل هو ما يميز التفسير الإسلامي عن غيره، وهذه البينية التي استخدمها وظهرت أول ما ظهرت على عنوان الكتاب [٣] تذكرنا بالتكتيك نفسه -إن صح التعبير- الذي استخدمه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في كتابه (العقيدة الواسطية)، وذلك عندما وظف النزعات المتطرفة لدى الفرق في بيان قاعدة أهل السنة والجماعة وإبراز الوسطية السلفية بينهم.

هذه المعالجة الثنائية المرتكزة على الاستقطاب والتكامل والتوازن بين الاحتياجات والظواهر تضعف كلما اتجه المرء نحو "الغرب".. فتجليات الواحدية، وهذا ملحظ مهم، متنوعة وعميقة في الفكر



المقصود هو مقاومة هذه النزعة الواحدية الأحادية الاختزالية المتسربة من الفكر الغربي، ومنع ذلك التسرب من أن يصل إلى المفاهيم الشرعية، والمناداة إلى الطرح المتكامل في شتى المجالات، خصوصاً فيما يتعلق بشئون المعالجة، وعدم نفيه وطرده بدعوى البحث العلمي والتخصص الأكاديمي ونحوها من المسميات، فالتعامل مع الظواهر بحزمة متنوعة من المحركات له امتداد أصيل في البحوث الإسلامية، وكما هو ظاهر في بحوث شيخ الإسلام ابن تيمية وغيره من العلماء، عند توظيفهم لكافة المحركات والمؤاخذات المؤثرة في معالجة مقالة أو منطق ما.



هذه النزعة في الفكر الغربي جديرة بأن تتأكد بالبحث المتابع، حتى يحصل عن ذلك فهم أعمق لواقع الفكر الغربي، ونقاش وفحص لدواخله بصورة أكثر تكيفاً مع حقيقته.

بل ويحصل -على مستوى آخر- تفهم لطبيعة العلاقات الاجتماعية لهذا الفكر، واستعداده للتقبل، ومدى ضعفها وعدم انسجامها مع طبيعته، كما ينتج في المقابل تفنيدات شتى يلبسها هذا الفكر غيره من المنظومات الفكرية، منها ما يزعمه هذا الفكر من عجز العقلية الإسلامية عن التعامل مع التركيب والتكامل، وينكشف للتاريخ من العاجز في الحقيقة [١٣].

صرامة ودقة تصرف غربي من الدرجة الأولى، لم يعرف التراث العلمي الإسلامي وحدة علوم يمثل هذه الوحدة التي يطرحها هذا الفكر [٦]، وهذه التجليات المتنوعة ناتجة عن أمر عميق كذلك في هذا الفكر [٧] وهو الاتجاه نحو السيطرة وعدم الانسجام مع التعددية [٨]، وقد كرس علي عزت بيجوفيتش فصله الأخير من الكتاب [٩] من أجل توضيح كيف أن الفكر الغربي يتعامل وفق خيارات واحدة ونزعات متطرفة، وأن التكاملية فيه أو معالجات "الطريق الثالث" طارئة عليه، "لقد شوهدنا مجالنا بشكل فادح بمحاولة تلخيص كل شيء في شيء واحد قدر الإمكان" [١٠]، الغريب أن الاتجاه نحو السيطرة والفهم وفق المنطق الواحدي الأحادي أخذ بهذا الفكر نحو التعقيد خلاف ما كان يطمح إليه، وهذا ما يبدو أن إدغار موران حاول الكشف عنه في كتابه (الفكر والمستقبل.. مدخل إلى الفكر المركب)، فهو يقول: "إننا نحيا تحت سلطان مبادئ الفصل والاختزال والتجريد التي تشكل في مجموعها ما أسميه بمنظومة التبسيط. صاغ ديكرت هذه المنظومة المسيطرة على الغرب عن طريق الفصل بين الذات المفكرة والشئ الممدود، أي الفصل بين الفلسفة والعلم.. وبسبب التقليل إلى أبعد حد للتواصلات بين المعرفة العلمية والفكر الفلسفي سيحرم مثل هذا الفصل العلم في النهاية من كل إمكانية لمعرفة نفسه والتفكير فيها، بل وحتى من أن يتصور نفسه بطريقة علمية.. [١١].

ويقول كذلك: "لا تسلم المشكلات الإنسانية فقط إلى هذه الظلامية العلمية التي تنتج متخصصين جهلاء، بل كذلك إلى مذاهب بليدة تدعي احتكار العلمية، وإلى أفكار أساسية هي بالأحرى أفقر من أن تدعي فتح جميع الأبواب؛ كما لو أن الحقيقة محبوسة داخل صندوق فولاذي بحيث يكفي الحصول على مفتاحه.. [١٢].

ما المقصود مما تقدم كله؟

ويكفي مما تقدّم حصول الاستنارة المفاهيمية اللازمة التي تجعلنا نفحص هذه التسربات والنزعات الواحدية المتطرفة، ونتيقظ لها بنحو مستمر في مفاهيمنا، مع الممارسة المكثفة الممتدة والإعلاء الدائم لمنطق (الطريق الثالث).

المراجع

- [١] هروبي إلى الحرية، علي عزت بيجوفيتش، ص: ٢٦٧.
- [٢] كما يصف عبد الوهاب المسيري في محاضرة له، من غير أن يقصد الإشارة إلى هذه النقطة تحديداً.
- [٣] بالنظر لهذا تظهر لنا مناسبة العنوان للمضمون وجماليته.
- [٤] ما وراء الخير والشر، ص: ١٥٨.
- [٥] الفلسفة في القرن العشرين، كريستيان دولاكومبان، ص: ٢٢٧.
- [٦] ولنتذكر كذلك أن مفهوم العقل في الفكر الغربي يقوم على شكل واحد وبعده واحد، ويحتكره كذلك في عقلية امتياز لا تتعداهم، انظر: ثلاث رسائل في الإلحاد والعلم والإيمان، ص: ١٠١، وبنحوه في: اغتيال العقل، ص: ١٤١.
- [٧] لا يبعد أن يكون للتحريف المسيحي أثر في تكون ونشوء هذه الواحدية حيث اللاهوت حل في الناسوت، وهما شيء واحد...!!
- [٨] السيطرة على العقول والأبدان، والاستعمار الفكري والعسكري شاهد على هذا.
- [٩] وعنوانه: "الطريق الثالث". وفي (هروبي إلى الحرية) عبّر في سياق آخر بعبارة "الطريق الوسط".
- [١٠] جوناثان هايدت، (التفكير-العلم الجديد لصناعة القرارات وحل المشكلات والتوقع)، ص: ٣٠٠، ويقول فتغنشتاين: "سبب الأمراض الفلسفية الرئيس هو النظام أحادي الجانب: تغذية الفكر بنوع واحد من الأمثلة"، انظر: كبار المفكرين في السياسة، ص: ١٢.
- [١١] الفكر والمستقبل.. مدخل إلى الفكر المركب، ص: ١٥.
- [١٢] المرجع السابق ص: ١٦.
- [١٣] أعني دعوى المفكر الفرنسي إرنست رينان، وانظر مقدمة كتاب (المركزية الغربية وتناقضاتها مع حقوق الإنسان).



كلما ازدادت جزيرة المعرفة اتساعاً .. كلما ازدادت
شواطئ التعجب امتداداً !!..

رالف سوكرمان



أطل الخرافات

محمد صالح الهيلي

مبرمج حاسوب، متخصص في قراءة الكتب الإنجليزية الخاصة بالتطور، صدر له كتاب:
(التطور نظرة تاريخية وعلمية)

عموماً.. نعود لاكتشاف داروين.
نحن الآن في النصف الأول من القرن الـ١٩، الأجواء السياسية والاجتماعية معادية للدين السماوي لدرجة أنك تكاد تشم ذلك في الهواء، المجتمع العلمي في نهاية الأمر هو جزء من المنظومة الاجتماعية، يتأثر بالأجواء المحيطة ويسير الموجة السائدة، بالتالي فمن الطبيعي أن كل ما يمكن أن يخالف الدين سوف يكون مرحباً به..

لم يأت بنظريته من الطبيعة، بل من خلال رؤية فلسفية مادية، ثم قضى ٢٠ سنة لجمع ما يجعلها ممكنة

كان تشارلز داروين الذي لم يكمل تعليمه لإهماله في كلية الطب، والأب الذي فقد ٣ من أبنائه الـ١٠ في سن مبكرة يبحث عن النجاح والشهرة، وربما الانتقام!
بعد أن تمكن هوتون Hutton من تأليف كتاب (نظرية الأرض) Theory of the Earth عام ١٧٩٥م، والذي يؤكد فيه قدم عمر الأرض عكس ما يدعيه الإنجيل -الإسلام لم يحدد عمر الأرض- وبعد أن استبدل تشارلز لايل Charles Lyell آثار الطوفان المذكور في الكتب السماوية بطبقات الأرض مختلفة الأعمار في كتاب

"بعد أن قمت بجهد كبير لدراسة داروين، أستطيع القول بأنه لم يأت بنظريته من الطبيعة، بل من خلال رؤية فلسفية مادية، ثم قضى ٢٠ سنة لجمع ما يجعلها ممكنة".
إيمانويل فيلكوفسكي - كتاب (عواالم متصادمة) Immanuel Velikovsky - Worlds in Collision.

(عبقريه داروين)

كان هذا عنوان برنامج وثائقي شاهده على قناة ناشيونال جيوغرافيك، الرجل الذي اكتشف أمراً عظيماً غير نظرة البشرية للحياة !!
نعم.. اكتشف.

الأوروبيون مفتونون بهذه الكلمة..

اكتشاف داروين يذكرني باكتشاف كولومبوس للأميركا.

يقولون بأن الرجل "اكتشف" أرضاً جديدة.

لكن..

كيف تكون جديدة رغم أن آلاف القبائل الهندية تعيش هناك؟

تخيل أن هناك لص سيارات قال:

سوف أخرج للشارع الآن وأكتشف سيارة جديدة وأخذها لي.

هل نسمي ذلك اكتشافاً أم سرقة؟

الأوائل خرجوا من بطن السمك !!

.Censorinus, De Die Natali, IV, 7

وهنا تذكرت ريتشارد دوكنز عندما قال بأن جدنا قبل ١٨٠ مليون

سنة كان سمكة !!

المهم.. وجدتها..

هذا ما كنت أبحث عنه (عدنا إلى داروين)..

إذاً فقد ظهرت الحياة من كتلة بدائية في الماء، نفس ما يطلقون

عليه اليوم الحساء البدائي Primordial Soup، ثم تدرجت إلى

كائنات بحرية، ثم انتقلت إلى اليابسة بالتدريج.

ولم لا.. ها نحن نرى الذباب ينشأ من بقايا اللحم الفاسد، والفئران

تنشأ من مخازن القمح والشعير (وهي فكرة التوالد التلقائي التي

دحضها العلم على يد العالم باستور وغيره).

إذاً فمن باب أولى أن تخرج البرمائيات من الأسماك، والزواحف

تتدرج إلى طيور، كذلك الإنسان؛ فهو في نهاية الأمر من الثدييات.

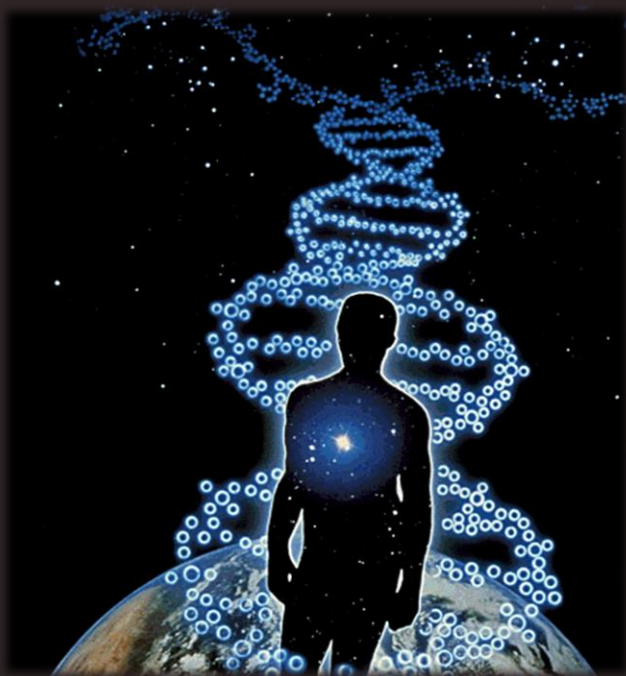
الرجل لم يكن يملك أدنى فكرة عن الحمض النووي الوراثي الدنا

DNA أو حدود الحوض الجيني Gene pool وعالم الخلية المعجز

الذي شبهه بروفيسور الكيمياء الحيوية مايكل بيهي Michael

Behe بـ (صندوق داروين الأسود) Darwin's Black Box في

إشارة إلى جهل داروين التام بأسرار الخلية في عصره.



أما مبدأ الصراع بين هذه الكائنات فسأخذه أيضاً من عالم الاجتماع

هربرت سبنسر Herbert Spencer، ذلك الرجل الذي طالما كنت

من أشد معجبي كتابه عن الاستاتيكا الاجتماعية في اللاماركية

(مبادئ الجيولوجيا) Principles of Geology عام ١٨٣٠م، وذلك

حتى قبل اكتشاف أدوات قياس عمر الطبقات، لم يتبق سوى

التشكيك في الخلق، وقد صارت الأرضية مهينة لذلك بفضل هاذين

الكتابين.

القلة التي تنكر الخلق الإلهي وجدت في أكثر الحضارات القديمة،

لاحظ أني لم أقل إنكار أن الطبيعة خلقت، بل العكس، وهذا يثبت

أن الخلق هو الأساس في كل الحضارات.

دعونا الآن نتخيل الكلام على لسان تشارلز داروين:

من أين أبدأ البحث للتشكيك العصري في الخلق وبالتالي دخول

التاريخ؟ لابد أنني سأجد ضالتي عند أول من تحدث عن أصل

الحياة..

من أول من ذكر أن الحياة ظهرت بشكل تلقائي؟

حسناً..

ذكرت بعض المخطوطات السومرية أن الحياة نشأت تلقائياً من

اضطراب في الماء يُعرف بالكتلة البدائية Primordial mass، ثم

نقلها الإغريق بعد ذلك.

كذلك الفراعنة ذكروا أن الثعابين والضفادع والديدان والفئران

خرجت من الطين من مياه الفيضانات على ضفاف النيل.

وهما أنني لا أريد أي تفسير خاضع لله والخلق (والكلام نتخيله على

لسان داروين وإن كان صرح به في الفصل السادس من كتابه أصل

الأنواع، صعوبات النظرية، تعقيد العين)، بل أريد تفسيراً خاضعاً

للمادة والطبيعة، فلن أجد أفضل من البحث والتفتيش في

الحضارات الوثنية التي كانت بشكل أو بآخر تعبد الطبيعة وترى

فيها الإله الخالق.

الوثنية: هي معتقدات وممارسات تتفق على عبادة الطبيعة وتتخذ

عدة أشكال، منها وحدة الوجود (الإيمان بأن الطبيعة المادية

والأشياء هي نفسها الإله)، تعدد الآلهة (الإيمان بأكثر من إله)،

مذهب حيوية المادة (الاعتقاد بأن الأشكال المادية في العالم هي

الطاقة الإلهية) وعبادة الأصنام وتقديسها.

كانت كل الطرق تؤدي إلى شخص واحد...

أناكسيماندر Anaximander (546 قبل الميلاد)، الفيلسوف

الوثني، ثاني فلاسفة الطبيعة الأيونيين -نسبة إلى أيونيا في الإغريق-،

هو أول من ذكر بأن كل الكون وما فيه من كائنات حية تكونت

من مادة أولية وليس الماء فقط كما قال بعض الفلاسفة غيره، وأن

الكائنات الحية نشأت في مستنقع بدائي، حيث بدأت في الماء ثم

انتقل بعضها إلى اليابسة وتكيف للحياة على الأرض، وأن البشر



وكذلك يقول ريتشارد ليونتين Richard C. Lewontin في كتابه: (بلايين وبلايين الشياطين) Billions and Billions of Demons عام ١٩٩٧ م ص ٣١:

"لدينا التزام أدبي بالمادية، بمعنى آخر لن نسمح بوجود تفسير خلقي على عتبة الباب".

قد يكون هذا الإلتزام المسبق -بغض النظر عن الأدلة والبيانات- هو السبب الرئيس في ظهور بعض التفاسير السخيفة والمضحكة من وقت لآخر؛ مثل قول إيوجين سكوت Eugenie C. Scott، عضو أكاديمية العلوم المدافعة الشرسة عن الداروينية:

"أصل الحياة لم يكن حدثاً واحداً، بل عدة أحداث متسلسلة قامت ببناء هيكل في أوله لا توجد حياة وفي آخره حياة، مع الكثير من (الأشياء غير المحددة بينهما)".

هذا تسبب في السخرية منها وتسمية هذا التخريف المضحك بنظرية Iffy Stuff، وشبيه بها جملة ريتشارد دوكنز Richard Dawkins الشهيرة في لقائه مع بيل موير Bill Moyers في ٢٠٠٤م: "التطور تمت ملاحظته، ولكنه فقط لم تتم ملاحظته أثناء حدوثه!" وعليه، فمن المعيب إذاً بالنسبة لفكرة مثل التطور تسميتها نظرية مؤكدة أو حقيقة ولديها كل هذه الافتراضات التي لم يلاحظها أحد تجريبياً، وهو ما يؤكد شكوك الذين يرون المجتمع العلمي (المادي) اليوم سائراً على نفس الخرافات الوثنية الموهلة في البدائية. ودعونا نلاحظ التطابق:

الداروينية	الوثنية
التطور الكيميائي	التولد التلقائي
الحساء البدائي	الكتلة البدائية
سلف كل الكائنات عاش في الماء	كائنات اليابسة خرجت من الماء
شجرة الحياة	شجرة العالم الفارسية

كل ماسبق يؤكد أن داروين لم يكتشف شيئاً. كل ما فعله هو أنه بحث عما ينفي الخلق، فوجد ضالته في الأساطير والخرافات الوثنية البدائية، فقام بجمعها وأخرجها على طريقة توماس مالتوس وهربرت سبنسر في الصراع، ودي كندول في بقاء الصفات المفضلة، وإمبيدوكليس في العشوائية، مع خلع صفات الانتقاء البشري الغائي في الحيوانات الهجينة على الانتقاء الطبيعي الأعمى بلا هدف !! لذا يجب تغيير اسم الكتاب من: (أصل الأنواع) بمعنى الاصطفاء الطبيعي، إلى (أصل الخرافات) بمعنى جمع أساطير السابقين الوثنية !!

(نسبة للعالم لامارك) عام ١٨٥١م، حيث بدلاً من جعل هذا الصراع مقتصرًا على طبقات المجتمع فسأعمم هذا المبدأ على الطبيعة. كذلك دي كندول عالم النبات السويسري المتوفي عام ١٨٤١م والذي كتب ورقة علمية بعنوان (الأصناف المتحاربة)، وكانت تتحدث عن النباتات والنضال في الحياة البرية، وكيف أن الحيوانات دائماً ما تتكاثر ولديها ما يكفيها من الموارد المتاحة. فالتنوع المتاح للمخلوقات الحية يجعل ذلك أفضل لها في البقاء على قيد الحياة، وهذا التنوع تنقله إلى صغارها، بينما عدم التنوع يؤدي إلى اختفائها وانقراضها.

سأخذ الفكرة نفسها وأطلق عليها اسم الاصطفاء الطبيعي. كذلك سأجعل العملية عشوائية تماماً ولا تتطلب وجود خالق أو حكمة، كما فعل الفيلسوف اليوناني إمبيدوكليس Empedocles (٤٣٠ قبل الميلاد) القائل:

"الجزء الأعظم من أعضاء الحيوانات جاء بعملية عشوائية". أما مفهوم شجرة الحياة فهو موجود في عدة حضارات قديمة؛ مثل شجرة العالم في أساطير بلاد فارس القديمة، وكذلك شجرة الكابالا في التراث اليهودي، وإن كانت الأخيرة لا تذكر العلاقة بين الكائنات الحية، إلا أنني سأخذ منها فكرة تدرج الأرواح وارتباطها واستبدالها بتدرج الكائنات الحية وارتباطها.

الآن صرت أملك ما تحتاجه الموجة المناقضة للخلق الإلهي، والتي بدأها جدي إرازموس داروين Erasmus Darwin بكتاب (زونوميا أو قوانين الحياة العضوية) Zoonomia; or, The Laws of Organic Life عام ١٧٩٤م.

نظرية مادية بحتة، تستبعد الحاجة للخالق. "أنتقي" منها ما يناسب النظرية. بقي أن أسافر وأبحث في الطبيعة وأسجل البيانات ثم عندما قال أنكاسيماندر ما قال: هل كان ذلك نتيجة للبحث العلمي؟ وهل كان مدعماً بالأدلة العلمية؟ الإجابة قطعاً هي لا. الرجل لم يكن يعلم أي شيء عن آثار الحفريات أو الخلية والصفات الوراثية والحوض الجيني.. وعليه... فلا يوجد سوى استنتاج واحد:

كان الرجل لديه التزام مسبق بالتفسير المادي. بالضبط مثل داروين وعلماء الداروينية اليوم.. وهذا ليس سراً.. ففي العدد ٤٠١ مجلة Nature التطورية الشهيرة يقول الدكتور تود سكوت Todd Scott ص ٤٢٣: "حتى لو أشارت البيانات إلى تصميم ذكي فإنها تُستبعد؛ لأنها لا توافق التفسير المادي".



أوتا بينجا

بدلاً من الموجودة الآن بين الزنجي أو الإسترالي والغوريلا!!
Charles Darwin (1871) The Descent of Man, 1st edition, pages 168 - 169. وبناء على هذه النظرة وقعت العديد من جرائم القتل والإبادة وسرقة السكان الأصليين في تلك القارات وترحيلهم إلى أوروبا وأمريكا ليتم عرضهم هناك فيما عُرف بحدائق حيوان البشر Human zoo ومعارض الأعراق Ethnological expositions. وكان من بين تلك المآسي الإنسانية مأساة شاب من الكونغو يدعى أوتا بينجا Ota Benga مواليد ١٨٨٣م وتوفي في ١٩١٦م، تم قتل زوجته وأبنائه وأغلب قبيلته ثم عرضه مع أورانجتان صغير في معرض القرود Monkey House exhibit على أنه قزم أفريقي African Pigmy، كان يحلم بالعودة إلى وطنه حتى قامت الحرب العالمية ففقد الأمل وانتحر.

في عام ١٨٧١م نشر تشارلز داروين Charles Darwin كتابه (أصل الإنسان) The Descent of Man والذي قرر فيه تبعاً لأفكاره أن السكان الأصليين لقارات أستراليا وأفريقيا والأمريكتين هم أقرب للغوريلا على سلم التطور، وذلك بعكس الأجناس القوقازية السامية (وعلى الأخص الأوروبية البيضاء) فقال: "في فترة مستقبلية ما ليست ببعيدة إذا ما قيست بالقرون سنجد أن الأجناس المتحضرة للإنسان وبشكل شبه مؤكد ستبديل وتُستبدل الأجناس الوحشية في العالم، وفي الوقت نفسه ستباد بلا شك الكائنات شبه الآدمية كما يسميها البروفيسور شافوزين، ومن ثم ستزداد الفجوة ما بين الإنسان وما بين أقرب حلفائه اتساعاً حيث سينتقل إلى حالة أكثر تحضراً كما نتمنى، بل وستكون أكثر اتساعاً إذا ما قورنت بالتالي بين القوقازيين وقرود منحن كالبايون،



حزني صليبة العمدة

إفيس ممد (عماد الدين)

مُعلم لغة إنجليزية جزائري، مهتم بنقد الإلحاد والمذاهب العقدية الباطلة، مؤسس صفحة وقناة
تشرح دماغ الملحد وقناة Imadix14 على اليوتيوب

يسبق من قبل. وقد ورد في الأثر عن علي رضي الله عنه أنه قال:
"مَن أراد الدنيا فعليه بالعلم، ومَن أراد الآخرة فعليه بالعلم، ومَن
أرادهما معاً فعليه بالعلم".

كيف بدأ الأمر معك في مواجهة مثل هذه الأفكار؟

بدأ الأمر معي بالدخول إلى عالم الإنترنت والمنتديات، وبما أن
تفكيري كان بسيطاً نسبياً في تلك المرحلة فقد اهتممت بسلوكيات
الإسلام الظاهرة، ولم أتعلم فيه بشكل جيد، انشغلت بالأخلاق
والرقائق ومتابعة هموم المسلمين حول العالم ودعوة غير المسلمين
إلى الله عز وجل، خاصة وأني كنت طالباً جامعياً أدرس الإنجليزية
في تلك الفترة. كنت منبهراً بالغرب نوعاً ما، ولكن الحمد لله لم
يتعد الأمر مجرد انبهار شاب عشريني بالحضارة الغربية، والحمد
لله أيضاً أُنِي كنت ذا تربية وخلفية إسلامية، والفضل بعد الله
تعالى يعود لأمي، فقد كانت حريصة جداً على زرع روح الإسلام
وتعاليمه في قلبي وقلبي منذ صغري، وكانت دائماً ما تحثني على
القراءة والمطالعة. لكنني مع ذلك كنت أتابع الأفلام بهدف تعلم
الإنجليزية، وكلنا يعلم مدى تأثير الأغاني الأجنبية والأفلام على
تكوين الوعي؛ لأنها تمرر رسائل مشفرة إلى العقل الباطن،
وتكرارها يؤدي بالواحد إلى الاغترار بزيف التقدم المادي والتقني
وانفتاح الشهوات والحريات المبالغ فيها عند الغرب، إلا أُنِي كنت

هم أشخاص قد يعرفهم أغلبنا أو بعضنا أو غير مشهورين، لكن
بصماتهم توجب تسليط الضوء عليها وعليهم: مَن هم؟ وما هي
قصة طريقهم الذي سلكوه؟ لعل فيما سنقرأه معاً مفاتيح القدوة
والعبرة لمن يريد.... نترككم مع الحوار.

أهلاً بك أستاذ رفس، في البداية نحب التعرف على رؤيتك للإلحاد
واللادينية والتي تعد قنواتك على اليوتيوب من أشهر وأكبر
القنوات التي عرضت وترجمت مئات الفيديوهات لنقدتهما علمياً
وفكرياً؟

أهلاً بكم، وأنا الأسعد بهذا اللقاء... إن المتتبع للظاهرة الإلحادية
واللادينية في العالم العربي يرى انتشارها الملحوظ في السنين الأخيرة،
ويتساءل الكثير منا: هل هذه الحالة ناشئة عن اقتناع؟ أم عن
تشهي وهوى؟ والأمر في نظري يرجع إلى عوامل عدة؛ منها الثقافية
والفكرية والعلمية والدينية، ومهما كانت الأسباب فإن مردها
جميعاً إلى عامل أساسي هو (الجهل)، فإن كل فضيلة أساسها
العلم، وكل نقیصة أساسها الجهل؛ أولها الجهل بالله سبحانه
وتعالى. فَمَن لم يعرف جوهر الإسلام حقاً فلا شك أنه سيقع فريسة
زيف الأفكار الأخرى البراقة والجذابة الخالية من المضمون
والأساس العقلي المتين، خاصة في هذا الزمن الذي تسخر فيه
الجهود والوسائل والأموال لنشر الأفكار الفاسدة والمنحرفة كما لم



كيف بدأ مشوارك مع الترجمة واليوتيوب؟

أول ما بدأت ترجمته مستغلاً تخصصي في الإنجليزية كانت محاضرات د. منقذ السقار من سلسلة بعنوان (النبي المنتظر)، وأنشأت وقتها قنوات عديدة على اليوتيوب لكن تم حذفها كلها للأسف، وكان هدي في أن أوصل الغوص في هذا المجال خاصة في فترة الإجازة الصيفية، واستفدت كثيراً من م. فاضل سليمان و د. حسام أبو البخاري حفظهما الله. إلى أن قرأت موضوعاً أثر في تأثيراً بالغاً، حيث تحدث كاتب الموضوع عن ضرورة تعلم ديننا الحنيف وفروعه والتخصص فيها، فهو الثغر الأهم بسده أولاً، حتى أنه قال: "ستجد نفسك بعد سنين تعرف عن يسوع النصارى والكتاب المقدس أكثر مما تعرف عن محمد صلى الله عليه وسلم والقرآن الكريم والسنة"، وفعلنا وجدت نفسي أترجع عن التفكير في الأمر، لكنني في نفس الوقت لم أجِد منهجية محددة منضبطة أبداً فيها بتعلم الإسلام وأواظب عليها، ولم أجِد التخصص الذي تميل إليه نفسي وأستطيع أن أبدع فيه.

إذن كيف واجهت الملحدون أول مرة؟

في خضم حواراتي في الشات مع الغربيين؛ قام ملحد بريطاني بالرد عليّ يوماً في موقع (أجوبة ياهو)، حيث ناظرني بطريقة بدت لي غريبة ولم أعود عليها، إذ لم يعتمد في مواقفه وحججه على الكتاب المقدس للنصارى، بل كان لا يعترف به أصلاً، حتى أنني لم أكن يومها أدري معنى (ملحد) أو (لاديني)، كنت أظن فقط أنه علماني يعترف ببعض الكتاب المقدس وينكر بعضه. تناقشنا أياماً وأياماً إلى أن انتهى الأمر إلى تكرار نفس الحجج وتوقف الحوار، فقد كنت بفضل الله أرد على شبهاته بقوة، لكن لم أستطع الرد على جوانب وجود الله والشر ومساائل القدر بنفس القوة، مما دفعني إلى البحث أكثر في هذا المجال؛ فوجدت أن الأمر أخذ في الظهور والانتشار في بدايات ٢٠٠٩م. وجدت صعوبة كبيرة في البحث بالإنجليزية إذ لم أكن أعرف أوليات هذا الوافد الجديد (الإلحاد)، لكن تبين لي بعدها أنه ليس بشيء، وأنه حالة من التشبث والضياع ليس لها أي مرجعية مؤسسة متعالية، واهتديت بفضل الله إلى منتدى التوحيد، فوجدت فيه إخوة قائمين عليه بارك الله فيهم، وأزال الله عني ما بي من شبهات جديدة خاصة ما يروج لها الملاحدة باسم العلم التجريبي -رغم قلة الملحدون آنذاك في المنتدى- يعني أن الشبهات يحفظها ويكررها المسلمون منذ قرون ومن عصور النهضة والتنوير والشيوعية والحداثة وما بعدها

أمقت في داخلي بعض الأمور التي لم يقتنع بها عقلي؛ كالانحلال الخلقي وتطبيق العلمانية المقيتة والليبرالية. لكن الصدمة الحقيقية بدأت حين قرأت بعض الشبهات حول الإسلام، وتولى الترويج إليها النصارى -إذ لم أكن أعرف ما يسمى بالإلحاد واللا دينية وقتها- ورغم أنني لم أعرفها أي اهتمام، إلا أنها بدأت تكبر وتتزايد بمرور الوقت كلما تعرضت لشبهة جديدة... خاصة وأن تلك الفترة من حياتي كانت حافلة بالنقاشات والسجلات مع أصدقائي ممن يحبون الحديث عن الدين وتعلم أمور الشرع، فقد كونا من متابعتنا للبرامج الدينية في رمضان وقراءة بعض الكتب الحد الأدنى من الثقافة الإسلامية.

وبالرغم من تتابع الشبهات إلا أنني بفضل الله لم أسترسل معها، ووجدت ضالتي في منتديات إسلامية كمنتدى ابن مريم، وكانت ردود الإخوة الكرام الذين وقفوا على هذا الثغر العظيم بمثابة الدواء للمريض. وجدت عندئذ أنني كنت جاهلاً جداً بأمور ديني، وأني كنت كأغلب المسلمين للأسف، مسلماً بالوراثة فحسب؛ وأن كلامي مع أصدقائي لم يكن إلا كلاماً عادياً في الثقافة الإسلامية. ومصادقاً لما يقوله النبي صلى الله عليه وسلم: "إنما دواء العي السؤال" (أي دواء الجهل - أخرجه أبو داود في سننه)، ابتدأت رحلتي مع البحث والقراءة والتعلم والتنقيب؛ حتى وجدت نفسي أقرأ في مجال مقارنة الأديان وسجلت بمنتدى ابن مريم ونزلت الكتب وقرأت بعضها حتى زاد فضولي، فقرأت بعض المقدمات في أديان الشرق الأقصى وأدركت فكرة الألوهية في كل دين. وأصبحت أتردد إلى غرفة الحوار الإسلامي المسيحي على البالتوك وأتابع المناظرات والحوارات مع النصارى، وخاصة مع الشيخ وسام عبد الله، حتى أنني أذكر في تلك الفترة مناظرتي مع القمص عبد المسيح بسيط وكيف أثارت جدلاً كبيراً، بل صار هدي في أن أتعمق في هذا العلم وأسد هذا الثغر، أو على الأقل أجِد ما أواجه به عند تحاوري في الشات مع مسيحيي الغرب، وكان هذا ديدني في حوارات في السكايب والياهو والمسنجر قبل ظهور الفيسبوك.



شبهات النصارى مرة أخرى. أما في مواقع التواصل الاجتماعي فقد تعرفت على أساتذة وعلماء كرام حفظهم الله ووفقهم وجزاهم الله عنا كل خير، تعلمت منهم ولا زلت، مثل د. عبد الله الشهري و م. أحمد حسن ود. هيثم طلعت ود. هشام عزمي وغيرهم مما لا يسع المجال لذكرهم، بعدها وضعت تحدياً على قناتي لجميع ملحدي ولاديني العالم لمن كان يرى في نفسه أهلاً للعلم والمناظرة أن يأتي وينظرنا على منتدى التوحيد وأن الله سيهدي من يطلب الحق، وقد كفى ووفى إخوتنا الكرام في المنتدى.

هل اعتمدت في كل وسائلك وقتها على ما ذكرته لنا الآن؟

الحقيقة لا، فقد شاهدت مقاطع ومحاضرات للدكتور الداعية المحبوب محمد العوضي حفظه الله وبارك فيه، حيث كان يتحدث في بعض الحلقات ويستضيف علماء يتحدثون عن شبهات الإلحاد ومسائل خلق الكون والتطور الدارويني. وكذلك للداعية البريطانية حمزة ترورتزس إذ تعلمت منه أساسيات الرد على الإلحاد، وأعجبت بشخصية وقوة المسلمين الجدد في الدفاع عن الدين، ثم بدأت أترجم له الكثير من المقاطع والحوارات، بل وأنشأت له قناة باسمه أيضاً. ثم هداني الله في نفس الوقت إلى متابعة برنامج عن كتاب (السبل المرضية) في تعلم فروع الدين الإسلامي من عقيدة وتفسير وفقه وأصول وحديث ومنطق ونحو، وأحسست أنني أتعلم أسس كل فن من بدايته، وأرفع الجهل عن نفسي، وأبني صرحاً عظيماً من قواعده بدل قراءتي المشتتة العشوائية في كل موضوع أو شبهة تقابلني على الفيسبوك أو اليوتيوب أو غير ذلك، فهذا ما زادني فهماً عميقاً لديني وثقة فيه، إذ بدأت أترجم فيه وأوغل برفق. وما زلت إلى اليوم أتعلم من حواراتي وسجلاتي مع الملاحدة.

ما هي أهم ملحوظاتك في حوار الملاحدة وغيرهم؟

أهم ما وجدته من تجربتي ومن تجارب الأصدقاء المحاورين أن الهداية بيد الله ونحن مجرد أسباب، فقد تقول كلمة لا تلقي لها بالاً تهدي بها ملحداً من ضلالاته أو مسلماً يتخبط في شبهاته، وأن الهداية تحتاج لنية صافية وطلب للحق فقط، فكم من ذي ألمعي غلبه عقله وهواه وأضله الله على علم، فليست الهداية بالاستغناء ولا بالاستكثار، ولاحظت أيضاً أن وجود الملحدين والمحاربين للدين دليل يثبت لي صحة هذا الدين، فلو لم يوجد كافر يريك الله به طريق الحق ما عرفت الطريق، فيمكن الاستدلال بهم رغم كفرهم على وجود الله وحكمته، ولمست أن الجانب الإيماني مهم جداً في

ولم يأت الملاحدة بجديد.



كيف بدأت أعمالك تشتهر ومتى؟

الحمد لله كل ما سبق أعطاني دفعة جيدة عندما دخلت فضاء اليوتيوب وعالم مواجهة الإلحاد والملحدين، حيث كان لدي حسب ما أزعم أساس متين وثقة في صحة الدين بسبب خبرات تراكمت عبر سنوات من قراءة ردود الشبهات المثارة حول الإسلام، ومشاهدة مقاطع الفيديو التي تختصر لنا فحوى الشبهة وتفككها من أصولها، وترد عليها في وقت وجيز بدل القراءة الطويلة في عصر السرعة. ولكن رغم هذا الأساس المتين إلا أنني بقيت لا أعلم سوى أمور عامة عن الإلحاد واللا دينية، حتى أسست صفحة (تشریح دماغ الملحد) Brain anatomy of atheist فكثفت دراساتي للإلحاد بعد تخرجي، وبدأت بترجمة ورفع المقاطع على قناتي منذ ٢٠١١م، وبمساعدة الأخ محمد الباحث في إدارة صفحة (مكافحة الإلحاد)، وهي من أول الصفحات التي تحارب الإلحاد على الفيسبوك. ثم تلتها قناتي Imadix14، وقد استندت كثيراً في نقاشاتي المباشرة مع الملحدين الأجانب قبل انتشار الإلحاد في العالم العربي، لكنني فوجئت بوجود منتديات للملاحدة وغرف لنقاشهم، وكم استدعاني الملاحدة لعمل حوارات معهم لكنني رفضت، فقد كنت مبتدئاً في هذا المجال، لكن مع ذلك سجلت الدخول إلى أحد منتدياتهم بعد تمكني قليلاً، وفجعت بكم القذارة الموجودة فيه من سب لله ورسوله وطعن في الإسلام وتنقيس عن عقدهم ومجونهم، وأدركت أن النقاش معهم سيؤثر مع الوقت على مكانة الله عز وجل وتعظيمه في قلبي، ناقشتهم في موضوع عن معنى الحياة، وكما توقعت فقد كانت نفس ردود ملاحدة الغرب، كانت تتسم بالسطحية والسذاجة والعشبية والعدمية، ولا يألون جهداً من إقحام الإسلام وسبه في أي موضوع، ويكررون نفس مسلسل



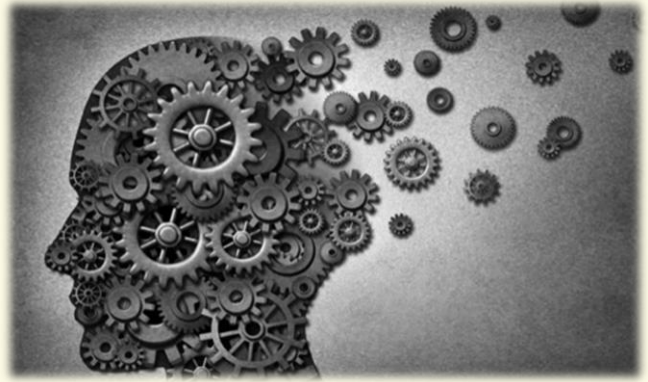
نفسك "فوق كل ذي علم عليم"، وباب العلم هو القرآن الكريم. وسينقلك العلم من إسلام التقليد والوراثة إلى إسلام الاقتناع والدليل. ولنعلم أن الإسلام لا يحتاجنا، فالله هو الغني، بل نحن مَن نتشرف بدعوتنا للدين في الدنيا والآخرة، وألا ندع مشاغلنا أو ذنوبنا تثبطنا عن الدعوة إلى الله وخدمة دينه. وليكن منا جيل ينهض بالأمة بتعلم العلم التجريبي والتقني، ويرفع عنها أسباب التخلف والتبعية حتى يغلق الله باب الانهيار والانصراف والاندثار الذي يساهم في إلحاد شبابنا العربي. ولنجعل آمالنا كبيرة، وليكن هدفنا الآخرة، وما مقامنا في الدنيا إلا امتداداً لطريق الإصلاح والاستخلاف في الأرض، ولنعيش حاضراً ومستقبلاً لأمتنا.

وفي الأخير...

أَسأل الله تعالى باسمه الأعظم الأجل الأكرم أن يهدينا، وألا يضلنا على علم، وأن يختم لنا بخاتمة خير، وأن يتقبل أعمالنا، وأن يستعملنا في نصرته دينه، والحمد لله رب العالمين.



التغلب على الشبهات والأفكار الفاسدة؛ فعندما يكون إيمان العبد ضعيفاً، فقد تصادف الشبهة قلبه الفارغ فتتمكن منه وتتركه يتلوى حيران، ثم إذا رجع إلى ربه عافاه من أثر الشبهة حتى لكأنه يستغرب بعدها كيف لم يبصر الإجابة وقد كانت أمام عينيه. ومن أهم ما خلصت إليه أن تعلم منهجية الرد على الشبهات وحدها كفيلة بالرد على كل شبهة تصادف المسلم في حواراته، لأن أساس الشبهة عبارة عن مغالطة في الاستدلال، وليست الشبهات علماً قائماً بذاته يحتاج إلى التخصص، بل بمجرد دراسة علم ما من جذوره سترد على كل شبهاته ومغالطاته.



ومما لاحظته أيضاً كثرة المرتزقة والمشاغبين من الملاحدة، وأن طالب الحق يظهر من أول حوار، وأن هدف الباقي التشغب على المسلمين أو إدخالهم في دوامة شك وحيرة، أو في أدنى حالاتهم ينزعون عنهم وخز الضمير عند ارتكابهم لشهوات محرمة، وأن عملهم يتعدى العمل العشوائي الفردي، بل هو عمل مؤسسي-مدروس الخطى. ومما لاحظته أيضاً أن الملحد في الغالب لا يناظر متأهلاً، بل يستغل أضعف رد من ردود المسلمين الغيورين الذين يردون ببساطتهم وفطرتهم فينتهزه حتى يبدو لهم بمظهر المنتصر.

مع اقتراب هذا الحوار الماتع من نهايته، هل من نصائح خاصة؟

الحقيقة أنصح المسلم البسيط الذي لا يعرف مجال الإلحاد أو الشبهات ألا يرد على الملحد، وإن رد عليه أن يدلّه على مَن له أهلية وخبرة في هذا المجال. كما أن الملحد يحارب الإسلام بعجرفة وعنجهية، لذا على المناظر أن يتميز بفطنة وثقة كبيرة وألا يستكن له، بل وعليه أن يسخر سخرية يسيرة من معتقده الإلحادي بين فينة وأخرى، وألا يناقشه في الفروع والشبهات التي لا تنتهي حتى يبيّن الأصول الاعتقادية والفكرية للإسلام. وأنصح كل مسلم بطلب العلم، وأن يوازن بين مجال تأثيره ومجال تعلمه، تعلم وتعلم ولا تتوقف عند حد، فكلما تعلمت ستجد نفسك جاهلاً وستعرف قدر

فرضية الأوتار الفائقة

مصطفى نصر قديح

باحث ماجستير فيزياء نظرية، مهتم بالقضايا العلمية والدينية والاحاد الحديث

الأوتار الفائقة فكرة مثيرة للاهتمام؛ حيث تخبرنا بأننا لو قمنا بتقسيم جسم ما والوصول لأصغر حجم منه فإننا لن نجد جسيماً مثل الإلكترون والفوتون وإنما سنجد وتراً مهتزاً ضئيلاً جداً، حيث تشير إلى أن كل الأحداث التي تحدث في الكون هي انعكاس لمبدأ فيزيائي واحد، ومظاهر لكيونة واحدة، وهي أوتار من الطاقة متناهية في الصغر، يبلغ حجمها واحداً في المليار من المليار من حجم الذرة، ويُعتبر "الوتر أحادي البعد" *One-dimension string* هو اللبنة الأساسية في تكوين مادة الكون حسب هذه النظرية.

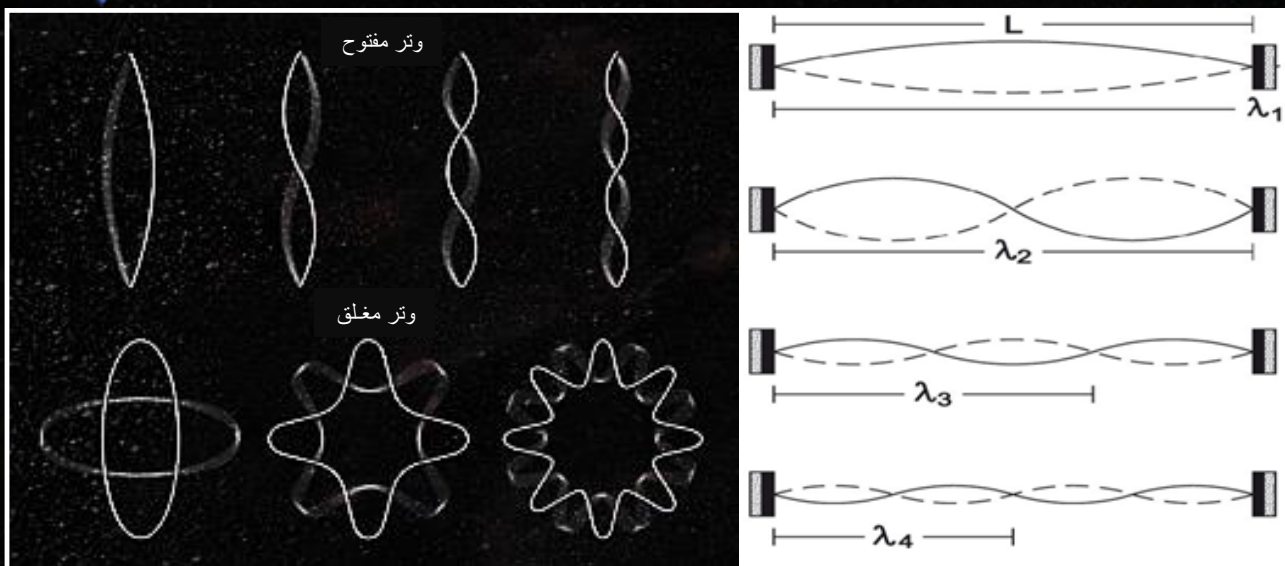
لكن كيف يتم ذلك؟ وكيف لوثر أن يشرح تنوع الجسيمات دون الذرية التي نعرفها وبشكل أساسي؟

يقترح العلماء بأن الأمط الاهتزازية المختلفة للوتر، هي العامل الأساسي لتكوين الجسيمات المختلفة المعروفة، ويمكن فهم ذلك من خلال تخيل وتر واحد *String* مهتز كما في الشكل (١).

فعندما يهتز ببطء سنحصل على مهتز واحد كبير، وإذا زاد الاهتزاز

الفيزياء هي علم غايته فهم الظواهر الطبيعية، والوصول إلى فهم الكون الذي يحيط بنا، ولتحقق هذا الأمر يرى العلماء بأن أفضل طريق لذلك هو الوصول إلى اللبنة الأساسية التي يتكون منها الكون وفهم آلية عملها، وبهذا يعتقد العلماء استطاعتنا فهم الكون من حولنا، ولقد سارت الفيزياء في هذا الطريق وأخذ العلماء في تطويرها وأصبح يتم الكشف عن أسرار وظواهر في الكون لم نلاحظها من قبل، وبناء عليه يتم إنشاء نظريات لتفسير هذه الظواهر الجديدة.

وكان من أبرزها هي فرضية ما يسمى بالأوتار الفائقة *Super string theory*، والتي ظهرت نتيجة لتطور فيزياء الجسيمات والرغبة في الوصول إلى نظرية كل شيء والتوحيد بين القوى الأساسية الأربعة في الكون، ومحاولة استخدامها في التغلب على المشاكل التي تقف بين نظريتي الكوانتم والنسبية.



شكل (١)

الحلول لمعادلات نظرية الأوتار، وكل حل من هذه الحلول يصف كوناً رياضياً متناسقاً ومختلفاً عن الأكوان الأخرى التي تصفها الحلول الثانية لنظرية الأوتار، وهو ما يعني أنه لا يوجد كون واحد فقط أو اثنين أو عشرة وإنما مليارات الأكوان [١]. البعض لا ينتبه للفرق بين (الفرضية) و (النظرية)، إذ ليس مطلوباً فقط من النظريات العلمية التنبؤ العلمي، بل أن تقدم تفسيراً للظاهرة. هنالك نظريات ذات قدرة تفسيرية كبيرة ولكنها ضعيفة في قابلية الاختبار وفي التنبؤ المحدد، وكما يجادل جورج إيليس Goerge Ellies والناقدون الآخرون؛ فنظريات الأكوان المتعددة متطرفة في هذا المنحى نظراً لأنها لا تقدم توقعات محددة، ومع ذلك فهي قادرة على تفسير كل شيء، فنظرية مجال عملها ١٠ أس ٥٠٠ من الأكوان أو أكثر (أي ١ وأمامه ٥٠٠ صفراً) يمكنها أن تكتنف عملياً أي ملاحظة. ولو تمت مراجعة النتيجة المنظورة فلن تجد نظرية الكون المتعدد أي مشكلة بتفسيرها كذلك، فيمكن أن نتوقع وجود زرافات في بعض أكوان الكون المتعدد، ومن المتوقع أيضاً وجود أكوان لا يوجد فيها زرافات [٢].

لكن هل الأوتار الفائقة والعوالم المتعددة حقيقية؟ الأوتار الفائقة تفسر أنيق يعجبنا كفيزيائيين نظريين، حيث يعطينا ما كنا نأمله ألا وهو اللبنة الأولية للكون، وتفسير كوننا الذي نعيشه، لكنه تفسير يقابل الكثير من الصعوبات، أهمها الآتي: ١- تحتاج الأوتار الفائقة إلى الكثير من الافتراضات، فتتطلبها رياضياً يتطلب أن يكون هناك أبعاد أكثر من أربعة، إضافة سبعة أبعاد مسألة خطيرة جداً في مجال توصيف الجسيمات النووية.

نحصل على مهتزين كبيرين، وإذا زدنا الاهتزاز أكثر سنحصل على ثلاثة اهتزازات، وهكذا.. إلخ، وبهذه الطريقة يمكننا الحصول على أنماط اهتزاز مختلفة للوتر الواحد.

يتصور العلماء أن حجم الأوتار ضئيل جداً قد يكون بطول بلانك ١٠ أس ٣٥ مترًا، ولكن عندما نتأمل اهتزازة الوتر كما في الشكل (١) فإننا نجده يهتز في بعدين (أعلى وأسفل) وهو أمر يمكننا من حساب وقياس ما نريده بسهولة مقارنة بحجمه، لكن بالقياس على الأوتار الفائقة فإننا نجد أن الاهتزازات تكون معقدة جداً في بعدين نظراً لحجمها الضئيل، ولذا يعتقد العلماء أن الأوتار الفائقة تهتز بطريقة ما في سبعة أبعاد -أبعاد أصغر بكثير من تلك التي نعرفها- إضافة إلى الأربعة أبعاد الزمكانية المعروفة، وهي أبعادنا الثلاثة المعروفة الطول والعرض والارتفاع مضافاً إليها البعد الزمني، أي أن النظرية لكي تعمل فإنها بحاجة إلى أحد عشر بعداً، وفي هذه الأبعاد الإضافية تتذبذب الأوتار فتؤدي إلى نشوء القوى الأربع الأساسية في الكون (القوى النووية الضعيفة - والقوية - والكهرومغناطيسية - والجاذبية).

ويفترض العلماء أن هذه الأبعاد تلتف حول نفسها بحيث لا نراها في عالمنا. وبما أن الكون يحتوي على هذه الأبعاد المختلفة في هندساتها العديدة والمتنوعة، وعلماً بأن قوانين الطبيعة تعتمد على هندسة الطبيعة، إذن فمن المتوقع أن تُشكّل هذه الأبعاد أكواناً عديدة مختلفة في قوانينها وحقائقها. هكذا تؤدي فرضية الأوتار إلى فرضية أخرى تسمى الأكوان المتعددة Multiverse. يشير عالم الفيزياء النظرية ميشيو كاكو Michio Kaku في كتابه العوالم المتوازية Parallel worlds إلى أنه تم اكتشاف مليارات من



لذا علينا ألا نتسرع في الأمر، فلا ينبغي أن نقبلها بما هي عليه وبافتراضاتها المتعددة، كأنها أصبحت نظرية حقيقية مثبتة بالأدلة كما يفعل البعض، ولا ينبغي أيضاً أن نرفضها رفضاً قاطعاً ونهملها، لكن علينا البحث عن الطرق العلمية لإثبات صحتها أو تعديلها أو نفيها.

المراجع

- [١] Michio Kaku, Parallel Worlds: A Journey Through Creation, Higher Dimensions, and the Future of the Cosmos, DoubleDay, 2004, pp. 207-208
[2] Carr and Ellis 2008 (note 50), 2.35.
[3] Peter Woit, Not Even Wrong (London, 2007), 242

مراجع للاستزادة:

كتاب الكون الأنيق لبراين جرين.
بول ديفيز، كتاب الأوتار الفائقة: نظرية كل شيء. ترجمة: أدهم السمان، ط. دار طلاس، دمشق ٢٠١١ م.

<http://www.superstringtheory.com/index.html>

<http://theory.tifr.res.in/~mukhi/Physics/string2.html>

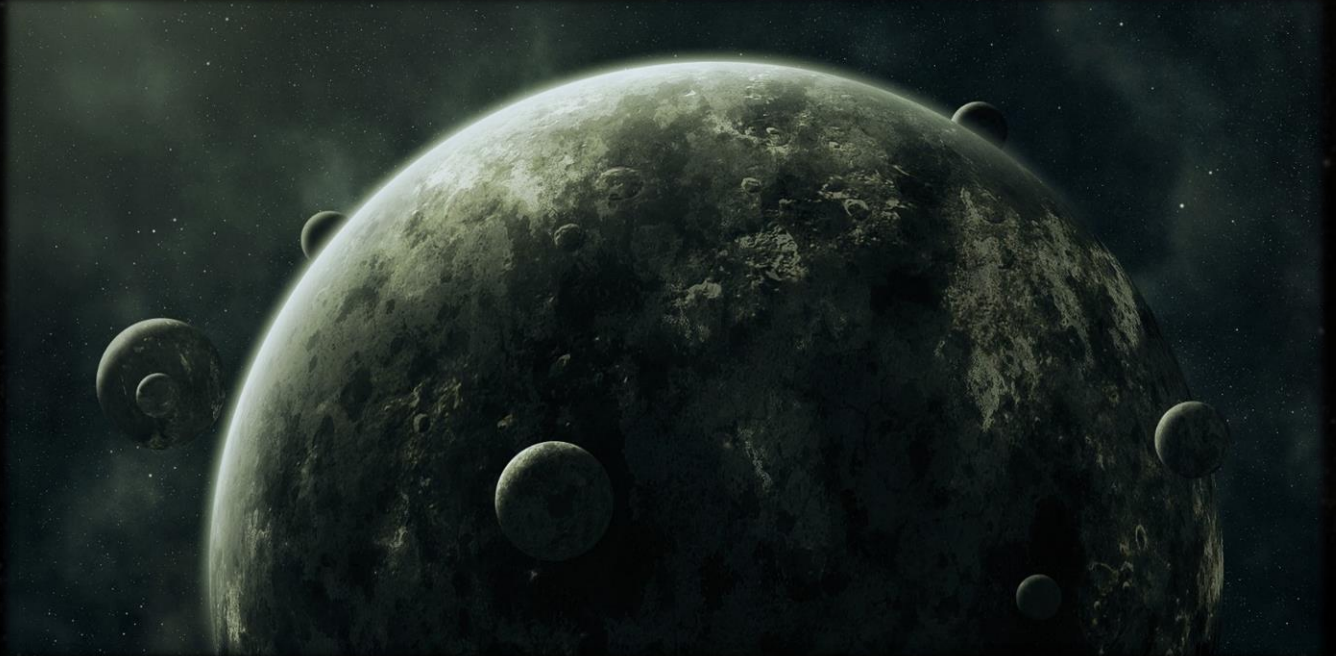
Polchinski, Joseph (1998). String Theory, Cambridge University Press.

٢- ثباتها قائم فقط على التعويل على فكرة أن العالم قائم حقاً على مبادئ رياضية، وأنه يوجد تفسير منطقي لكل شيء، والرياضيات طريقة لوصف الأشياء بشكل منطقي.

٣- من المسائل المعقدة كذلك مسألة تحديد الشكل الخاص الذي تتخذه الأبعاد الإضافية في التوافقها على نفسها.

٤- الأوتار الفائقة ما زالت إلى وقتنا الحالي مجرد فكرة رياضية، والبعض يضعها في خانة فلسفية، نظراً لعدم وجود دليل تجريبي واحد رسدي يدعمها، والسبب في ذلك هو أن الأبعاد الإضافية السبعة أصغر بكثير مما يمكن الوصول إليه بمسرعات الجسيمات، فكما أسلفنا يتصور العلماء حجم الوتر بما يعادل طول بلانك تقريباً، وهو حجم ضئيل جداً، مما يزيد الأمر صعوبة على أي مسرع لمحاكاة تلك الأحجام الضئيلة.

وبناء على ما سبق، فالأوتار الفائقة ما زالت فكرة رياضية لم يؤيدها دليل تجريبي رسدي أو ملاحظة واحدة، وهو الأمر الذي يجعل كثير من الفيزيائيين يرفضونها، ويقر عالم الرياضيات بيتر فوت Peter Woit أن: "نظرية اللوحة Landscape الشاملة للأوتار: فارغة المضمون تجريبياً، فالنظرية لا يمكن إطلاقاً أن تتنبأ علمياً بأي شيء، ومن المستحيل محاولة دحضها" [٣]، إلا أن البعض يؤيدونها كأنها أصبحت العلم الذي لا يرفض.





بعض الناس لا تراه إلا مُنتقداً، ينسى حسنات الطوائف والأجناس،
ويذكر مثالبهم، فهو مثل الذباب؛ يترك موضع البرء والسلامة، ويقع
على البرج والأذى، وهذا من رداءة النفوس، وفساد المزاج

لمحة

عن الاستراتيجية

سفيان ناصر الله

باحث مغربي في فلسفة العلم والمعرفة وعلم النفس المعرفي، ومهتم بالدراسات الاستراتيجية

ما هي الاستراتيجية؟

المصالح القومية..). غير أنها هي من تعلم السياسة فن الممكن، وكما يقول ليدل هارت في كتابه الاستراتيجية: "تبدأ الحملة العسكرية عندما يستطيع المرء رؤية ما هو ممكن"، وغرضها ترجمة الغرض السياسي إلى تأثيرات استراتيجية تشكل البيئة على نحو أفضل، شاملة الرؤية، محددة حقل التنفيذ، فالاستراتيجية في حقيقتها تسعى إلى خلق الشروط التي تجعل للدولة وضعية فضلى على الدول مستقبلاً، فهي لا تعنى بحل الأزمات بل بتجنب وقوعها. تكمن صعوبة الاستراتيجية في كونها لا تتعامل مع وقائع أو معطيات قابلة للإحصاء يمكن إصدار حكم فيها صدقاً أو كذباً، بل غرضها العمل على توقع المستقبل الممكن والعمل على خلق

الشروط اللازمة قدر الإمكان لبلوغ وضعية فضلى في المستقبل المنشود، غير أن العمل على خلق هذه الشروط لا يكون بالتفكير المنطقي الصوري الخطي الذي تحدد مقدماته نتائجه، الذي في مجمله تحصيل حاصل كما

بين ذلك الفيلسوف النمساوي فيتجنشتاين، بل تعتمد على ضرب من التفكير الانعكاسي Reflexive Thinking الذي ينطلق من تخيل صورة المستقبل المرغوب فيه عودةً إلى الحاضر. وتعمل على

فالاستراتيجية في حقيقتها تسعى إلى خلق الشروط التي تجعل للدولة وضعية فضلى على الدول مستقبلاً

يُعرف الاستراتيجي الفرنسي أندري بوفر الاستراتيجية بكونها "فن الحوار بين إرادتين متضادتين تستخدمان القوة في حل خلافاتهما"[١]، ففيد الاستراتيجية أول ما قيدها بكونها "فنًا" ليخرجها من جملة العلوم حسب المفهوم الابستمولوجي الشائع (الابستمولوجي هو فرع الفلسفة الذي يدرس نظريات المعرفة)، وليجعلها بذلك مهارة تطبيق العلم لا الإدراك الجازم النظري، فتكون بذلك ذات سمة إبداعية، وقد شاع تعريفها باعتبارها فناً منذ ٢٤٠٠ سنة، فصن تزو واضح أول الكتب في هذا الباب معنوناً إياه بـ (فن الحرب) وهو إن كان موضوعه بعد تطور الاستراتيجية لا يدخل الاستراتيجية بشكل مباشر، فهو يدخل في الشق التكتيكي منها أو العملياتي، وهو كتاب يحوي تعليمات عن "شن الحرب، تعليمات تكتيكية، نقاط الضعف والقوة، والطاقة..."، (يقصد تعليمات اقتصاد المحاربين لطاقتهم في المعارك لا الطاقة بمفهوم اليوم)، وقد تضافرت جهود عباقرة الأمم على تطوير الاستراتيجية من لدن الصينيين مع صن تزو مروراً بالفرس والرومان على يد جنرالات من أمثال زركسيس وبيركليس وإييامينوداس وسكيبيو (هازم هايبييل) وقرطاج مع هانيبال وصولاً لكارل فون كلاوزفيتز الذي تبلورت معه أول نظرية للاستراتيجية في كتابه (عن الحرب) الذي مات ولم يتم كتابته، وفي هذا الكتاب يرى كلاوزفيتز أن أهداف السياسية تهيم على الاستراتيجية، فالاستراتيجية خادمة للسياسة فهي تسعى لتحقيق الأهداف السياسية (الهدف الوطني،



مع بيئة متقلبة، غامضة، يكتنفها التوجس والشك، ومعقدة، معطياتها توقعات ومفاهيم وتصورات، يتم في ظل توقع المعطيات المستجدة ودمجها في محاكاة ذهنية الكشف عن التعالقات بالاستناد إلى أساس معرفي لا يستهان به عند الاستراتيجي، وملاحظة التعالقات والعناصر الناشئة وتأثير النتيجة في سببها، وتضافر مجموعة من الأسباب على خلق نتيجة ما، وعودة النتيجة الجديدة للتأثير في أسباب أخرى غير التي أنتجتها، المشكلة في الاستراتيجية كما في التخطيط هي "أن الملامح الثقافية للمخططين تنعكس تلقائياً في تعريفاتهم" [٢]، وتكمن المشكلة الثانية في أنه على فرض

هذا النهج بإعداد سيناريوهات، وتوقع معطيات جديدة في المستقبل القريب، وتحديثها داخل النسق ذهنياً بالعمل على خلق محاكاة ذهنية تتحرك فيها العوامل وتتأثر فيما بينها، وخلق تعالقات، والنظر في التعالقات المستجدة وأثرها على باقي عناصر المنظومة، فهي مثلاً لا تنطلق من الوضع الاقتصادي الاجتماعي القائم بل من المزايا الاقتصادية الاجتماعية بعيدة المدى التي تنجم عن الاستثمارات.

لما كثر الخلط عند الناس بين الاستراتيجية والتخطيط، ارتأينا التمييز بينهما، فمما تتميز به الاستراتيجية عن التخطيط كونها: مرنة، تحوي حيز الإمكانات، لا تنطلق من معطيات كمية بل من معطيات لا كمية Non Data based Methods، ولا تفترض استمرارية الوضع عبر العمل على التنبؤ من معطيات الحاضر، وتكرر الوقائع في الماضي، فهي على النقيض من هذا تماماً مع فارق بسيط هو أنها تدخل ما يسميه الاستراتيجيون (الاستمراريات) Continuities كعامل من جملة عوامل، ومن جملة هذه الاستمراريات (الدين، الأيديولوجيا...) مثلاً مع انتهاء القطبية الثنائية ونشوء عالم أحادي القطب بنظام عالمي جديد بزعامة أمريكا، وضمور الشيوعية باعتبارها أيديولوجية، زعم أغلب المخططين تحت سطوة الرأسمالية والعولمة أن هذا عصر انتهاء الأيديولوجيات، فما لبث أن عادت في صورة "الحرب على الإرهاب"، فالتخطيط هو ما يجعل الاستراتيجية قابلة للتنفيذ، فينطلق من واقع كمي أي من النظام أو البيئة القائمة إلى البيئة المنشودة، وغالب معطياته توجد داخل النظام القائم، وما دامت معطيات كمية فهي تسمح للمخططين بالترجيح رياضياً وإجراء اختبارات للخطط والتطبيقات واقعياً، بينما الاستراتيجية تتعامل



لما كثر الخلط عند الناس بين الاستراتيجية والتخطيط، ارتأينا التمييز بينهما

أن الاستراتيجية جيدة للغاية، بحيث تمكنت من فهم تقريبي على مستوى من الدقة للتعالقات المعقدة للبيئة، فإن تبسيطها للمخططين الذين يفكرون ويعملون وفق الایستمولوجيا

يمكن خلق استراتيجية دون وجود إرادة مضادة؟ والجواب على هذا كالتالي: يرجع الأمر إلى وعي الاستراتيجيين بقصور الدولة الذاتي عن تعريف ذاتها، فهي محتاجة لمعيار خارجي تقيس على أساسه تقدمها، ويكون وجود هذا المعيار الخارجي دافعاً للتقدم، لذلك تسعى الدول دوماً لصنع أعداء ولا تنتظر أن تأتيها العداوة، وهذا لكي يكون لها الخيار في اختيار العدو الذي يتناسب وأهدافها وقدرتها ومواردها البشرية والمالية.. فهذا الاختيار مدروس لكي لا تنشأ عداوة بالصدفة مع عدو يعود على استراتيجية الدولة وأهدافها بعكس مرادها، فهي تختار العدو بعناية، فإن لم تحدد عدوها، ستحددها دولة أخرى كعدو، فيكون الأمر بيد وإرادة الدولة الأخرى، ولا يقتصر صنع العدو على قصور الدولة فقط، بل يتعداه إلى أدوار استراتيجية، فهو يعين على تكتل النسيج الداخلي للدول وتلاحمه تحت راية بحيث يساهم هذا التكتل على تماسك

الهوية للأفراد والمجتمع داخل الدولة، مما يكسبها مناعة داخلية، وليس شرطاً أن يكون العدو دولة، فقد يكون مفهوماً أي عدواً تصورياً كما أوضح ذلك الاستراتيجي الفرنسي المتقاعد بيير كونيسا في كتابه (صنع العدو)، تزداد أهمية الإرادة المضادة في عالم ما بعد حداثي، لا توجد فيه سرديات كبرى مؤطرة للنسيج الداخلي، يجد فيها الفرد والمجتمع معنى حياته، فترتفع بذلك إمكانية نزوع الأفراد والمجتمعات إلى معايير خارجية تجد فيها معاني وجودها، وتقل بذلك القدرة على التنبؤ، فالتأطير الاختياري يجعل القدرة على التنبؤ صعبة جداً إن لم تكن مستحيلة أحياناً، لهذا فالإرادة

المضادة جوهرية للدولة وللعمل الاستراتيجي لقصور الدولة بكل مكوناتها مجتمعاً وأفراداً ومؤسسات عن تعريف ذاتها، ولا يقف دور صنع العدو على ضمان تلاحم النسيج الداخلي للدولة، بل يتعداه لخلق أهداف خارجية ترتقي الدولة من خلالها في النظام الدولي،

ويمثل العدو دافعاً لها نحو التقدم لأهدافها، فالدول التي تبقى من غير أعداء نادراً ما تتقدم على المستويين الداخلي والخارجي لانعدام الدافع، فالدافع الخارجي شبيه بما يعطيه المجتمع للفرد

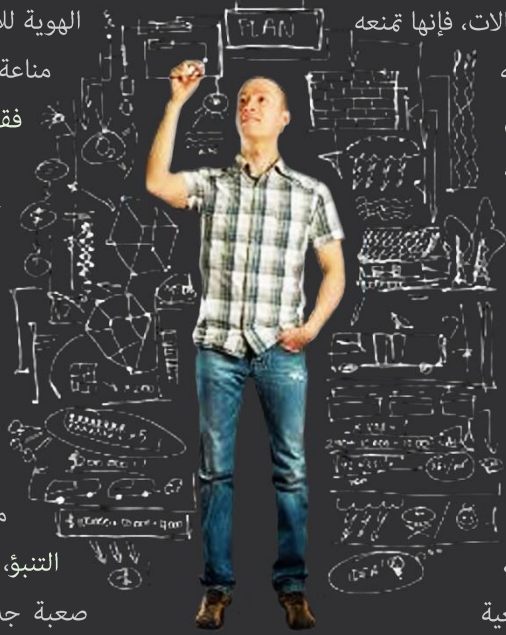
الكلاسيكية، وبغية إدراكها وتنزيلها حيز التنفيذ بهذه الذهنية "النيوتونية" كما يصفها الاستراتيجيون، تشوه الواقع المنشود، وتلغي العوامل المتعددة، وتشتط لهذه العوامل سببية حتمية من حيث تعالقاتها وتأثيراتها الحاصلة في البيئة المعقدة، لا سببية لا حتمية، وتهمل العوامل غير المادية وآثارها، فتتشوه الاستراتيجية كلها نزلت من المستوى الاستراتيجي إلى التخطيطي، وتزيد تشوهاً عند نزولها للمستوى التكتيكي العملي، ناهيك عن كون الأهداف التي يحددها الساسة للاستراتيجية أغلبها ما يكون فضاء ومثالي مما يجعل عمل الاستراتيجي عصياً جداً، يسبح في محيط من التعقيدات والاحتمالات، ومفتقداً لأي أساس أو مرجع، فيتحتم عليه تحديد إطار مرجعي يمكنه من وضع استراتيجية تبلغه الأهداف السياسية. ويزداد الأمر تعقيداً إذا علمنا أن الأطر المرجعية تعمل فيهم عملها في عامة الناس، فهي وإن كانت

في جوهرها معضدة لتوليد حقل من الاحتمالات، فإنها تمنعه من رؤية حيز من الممكنات في جملة عمله بدءاً من: التعريفات التي يضعها، المفاهيم التي يستعملها.. وهلم جرا. فالأطر المرجعية تضع جملة من الممكنات والفوارق في نقطة عمياء، تقع في مجال النظر، لكنه لا يراها بسبب الخلفية المرجعية، وهذا ما يجعلها حقلاً آخر للاستراتيجي يختلف في المرجعية عن سابقه، ولهذا فلصعوبة الاستراتيجية في العصر الحديث، تخلص عن فكرة الشخص "الاستراتيجي العبقري" وجعلوها "مجامع استراتيجية" على هيئة المجامع الفقهية، غير أن الفارق الدقيق بين عمل الأطر المرجعية

في الاستراتيجي وعملها في عامة الناس هو وعي الاستراتيجي بها، لذلك فهو يفترض إمكان حدوث تغييرات لأسباب خارج نطاق رؤيتها، ويستعد لاستقبال التحديث، على غرار التغييرات المفاجئة التي قد تحصل نتيجة عوامل في نطاق الرؤية لسوء تقدير قوة بعض العوامل

التأثيرية أو إهمال أثرها حال اجتماعها وتداخل تأثيرات فيما بينها. ولقد قيد أندري بوفر الاستراتيجية في تعريفه المذكور آنفاً بقيد ثانٍ وهو "بين إرادتين متضادتين" فهل

فأصعوبة الاستراتيجية في العصر الحديث، تخلوا عن فكرة الشخص "الاستراتيجي العبقري" وجعلوها "مجامع استراتيجية" على هيئة المجامع الفقهية





الذي تنشده رؤية استراتيجية، وهو يشبه التطبيق التعذيبي الذي يروم إخضاعك لدرجة لا تطاق من الألم حتى يكون الألم الأخف "لذة تنشد".

فصنع عدو يساعد على خلق أهداف كبرى للدولة، متوسطة للمجتمع، وصغرى للأفراد

لماذا الاستراتيجية عسيرة إلى هذه الدرجة؟

يرجع عسر الاستراتيجية حقيقة لطبيعة البيئة التي تتعامل معها، فالبيئة الاستراتيجية بطبيعتها متقلبة، غامضة ومعقدة ويسودها التوجس والشك، و"التأثيرات في البيئة الاستراتيجية تراكمية، لكن يمكن معالجتها أو إبطال مفعولها من خلال التفاعلات داخل المنظومة"، وهذه البيئة تقوم بوظيفة الشبكة المعقدة التي تنتظم ذاتياً، وتسعى إلى صيانة توازنها النسبي الحالي أو إيجاد توازن جديد مقبول، "فهي دينامية الطبع تتفاعل مع المدخلات، لكن ليس بالضرورة وفق علاقة سبب/نتيجة" [٣]، فالاستراتيجي يحتاج لفهم البيئة وبناء استراتيجية متسقة معها، بحيث لا يغفل عن طبيعتها ولا يستسلم للأطراف الأخرى أو يترك الأمر للصدف وعدم الاستقرار فيفضيخ في فوضى البيئة الاستراتيجية، وتعقيد البيئة يرجع لتألفها من أجزاء عديدة متداخلة فيما بينها بطريقة يصعب معها فهم الأجزاء منفردة عن سياقها، فالاجتزاء مانع من فهم تأثيرات السياق في الأجزاء، ويصعب فهمها مجتمعة لأن التعقيد المطرد المتنامي يصعب احتواؤه، خصوصاً وهو يجمع بين عوامل تأثيرها خطي (سبب/نتيجة) وغير خطي، فهناك دوماً نقص معرفي، والدوافع في هذه البيئة ضبابية غالباً، ولصعوبة استيعاب طبيعة البيئة الاستراتيجية، يقارنها الاستراتيجيون بنظريتين (نظرية الفوضى Chaos theory - ونظرية التعقيد Complexity theory) إذ تصوران بدقة جوهر سلوك البيئة الاستراتيجية المعروف بسماته الأربع: التقلب، التوجس، التعقيد والغموض.

فالاستراتيجي يحتاج لفهم البيئة وبناء استراتيجية متسقة معها، بحيث لا يغفل عن طبيعتها ولا يستسلم للأطراف الأخرى

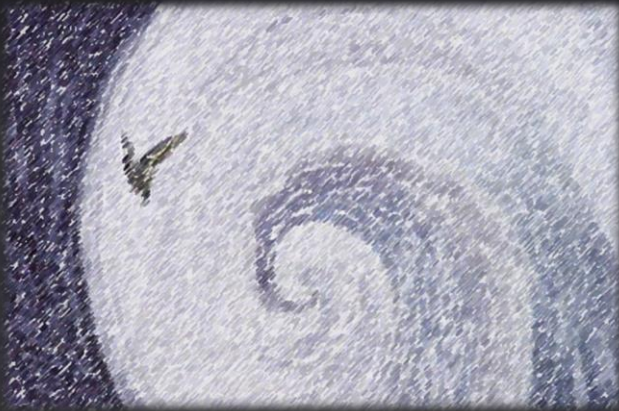
عرفت نظرية الفوضى على يد خبير الأرصاد الجوية إدوارد لورنز عندما كان يبحث عن طريقة للتوصل أكثر دقة عن أحوال الطقس، فاكتشف ظاهرة (تأثير الفراشة Butterfly effect)

لقصوره عن الانطلاق من دوافع داخلية صرفة، فوجود العدو مسألة اضطرارية للدول، يبقى الخيار للدول في اختيار أي الأعداء أنسب لأهدافها السياسية، ولا تصنع الدول الأعداء إلا لتبقى مختارة، إذا لم تختَر سيختارها غيرها عدوة فتكون مضطرة لكونها كانت خيار دولة لا تتناسب طبيعتها مع أهدافها السياسية، فصنع العدو يساعد على خلق أهداف كبرى للدولة، متوسطة للمجتمع، وصغرى للأفراد، مما يعين على تنظيم الحياة السياسية داخل الدولة، بل حتى التعليم أحياناً.

مثال مقتضب: يقول بيري كونيسا في كتابه (صنع العدو): "تسعى الاستراتيجية العسكرية الأمريكية إلى تدمير بنى العدو ودعائمه بأي طريقة كانت، لإرغامه على السلم، كما تسعى القوى الأوروبية إلى حرمان الخصم من قاعدته الاجتماعية عبر استراتيجيات تدمج بين الأفعال المدنية والعسكرية".



على ما هو معهود من تاريخ أمريكا مع ماركس الذي صورته كشيطان على أساس معاداته للرأسمالية، لكن ماركس يبقى حاضراً في الشق الاستراتيجي من السياسة الأمريكية؛ فالاستراتيجية العسكرية الأمريكية يقوم تطبيقها على أساس الدياليكتيك الماركسي حيث الواقع المادي هو أساس تغيير الفكر وتوجيه الوعي، فإن تدمير بنى العدو ودعائمه هو صناعة واقع جديد يشترك فيه الكل عوض واقع جزئي لكل شريحة مجتمعية، وحتى يكون التغيير شاملاً، ويقبل المجموع بما تقدمه الاستراتيجية الأمريكية كقيمة مضافة أو رسالة (الديمقراطية)، ويكره بالمقابل ما استدعى أمريكا لبلادها، والذي استندت إليه أمريكا كمسوغات لدخولها الدول، كنوع من صناعة العدو لضمان اجتماع النسيج الداخلي للدولة، وهذا التدمير الذي هو صناعة واقع جديد يصل الحضيض حتى يكون كل وعد من السياسة الأمريكية أملاً موهجاً للخروج من ذاك الحضيض، وبهذا ترسم أمريكا صورة الواقع والنمط الجديد للحياة



يجعلها تخضع لنموذج نظرية الفوضى، وقابليتها للتنبؤ بدقة، فنظرية التعقيد تخلت عن الأحكام القطعية في سبيل فهم أفضل للمنظومات المعقدة، التي يكون مجموع تفاعلاتها ضمن المنظومة الكلية أكبر من مجموع تفاعلات أجزائها. وعند تدخل "عامل مُحرض أو جاذب" -حادثة صغيرة مشابهة للتغيرات الرياضية التي أجراها لورنز- تنتج حالة تدعى (نقطة التشعبات)، وهي النقطة التي يحدث فيها تغيير كبير بحيث تنشأ منظومات جديدة مميزة ومختلفة عن أصلها، مع احتفاظها باستمرارية بعض الجوانب، هاتين النظريتين تدركان أن العالم مكون من علاقات خطية وعلاقات دينامية لا خطية، غير أن نظرية التعقيد لا تسعى للتنبؤ بل للفهم، إذ تقبل نظرة معقدة، تقبل التناقضات، الشذوذات، والعمليات الجدلالية أو كما يسميها موران: Boucle causale.

ما دامت البيئة بهذا التعقيد والغموض فإن النظر فيها بالمنطق الأرسطي ثنائي القيم (صدق، كذب) يكون تضحية بالدقة على حساب اليقين المتحصل، لهذا يصف الاستراتيجيون هذا التعقيد استناداً إلى المنطق الذي طوره المهندس لطفي زاده، والذي سماه بالمنطق الضبابي Fuzzy Logic، حيث يرى هذا المنطق الحديث أن كل مسألة هي درجة معينة من طيف قيم متعددة بدلاً من الطرفين القاطعين (صدق، كذب)، ويذهب مؤيدو هذا المنطق الضبابي أن الثقافة الغربية تخلت عن الدقة مقابل الحصول على جواب بأبيض أو أسود، فالمنطق الأرسطي يرى أن المقولة لا بد أن تكون إما صادقة أو كاذبة، بيد أن المنطق الضبابي يرى أن المقولة صادقة أو كاذبة بنسبة ما، فإذا سئل المرء عن العدد (٧،٠) مثلاً وطلب منه تحديد إذا كان (١) أو (٠)؟؟ ففي المنطق الأرسطي لزاماً أن يقرر أحد القيمتين، أما واقعاً فالعدد (٧،٠) أقرب للواحد من (٠) فهو بين الاثنين.

بملاحظته أن التغيرات الطفيفة في الشروط الأولية للحسابات تترك آثاراً كبرى على النتائج عند التراكم والاستمرار، فخلص إلى استنتاج أن "مستقبل السلوك المعقد والمنظومات الدينامية شديدة الحساسية والتأثر بأي تغيرات طفيفة في الشروط الأولية" [٤]. ولهذا عرف الاستراتيجي الأمريكي وأحد مطوري الاستراتيجية النووية الحديثة برنارد برودي الاستراتيجية بأنها "الميدان حيث ترى الحقيقة في السعي إلى حلول حيوية" [٥]. فقبل نظرية الفوضى هيمن على العالم رأيان، الحتمية المحضة، والعشوائية الصرفة، غير أن نظرية الفوضى تجمع بينهما، فهي تصف سلوكاً غير دوري ولا مستقر ضمن منظومات دينامية وقطعية وغير خطية، فالمنظومة الدينامية منظومة تتفاعل وتتغير مع مرور الزمن، وسلوك المنظومات الفوضوية غير دوري، مما يعني انعدام متغيرات تكرر بقيمة معينة دورياً تصف حال المنظومة، فكل متغير يغير قيمه مع الزمن، وتكمن أهمية نظرية الفوضى في توضيحها أن كثيراً من الأمور التي كان يظن أنها عشوائية لعدم وجود نمط منتظم ظاهر، ليست عشوائية في الواقع، أي أن هناك علاقات سبب/نتيجة غير مباشرة، و"يمثل التاريخ الإنساني في المنظومات الفوضوية سلوكاً غير دوري، إذ نلاحظ أن هناك نماذج كبيرة واضحة للعيان لنهوض حضارات وسقوطها، ليس فيها حادثة واحدة تكررت بالضبط في يوم من الأيام" [٦].

التغيرات الطفيفة في الشروط الأولية للحسابات تترك آثاراً كبرى على النتائج عند التراكم والاستمرار

أما نظرية التعقيد فتعود لعالم الاجتماع وفقه العلم الفرنسي إدغار موران، وترى هذه النظرية أن المنظومة المعقدة تنشأ عند تداخل وتفاعل مجموعة من العناصر فيما بينها، بحيث يؤدي التغيير في بعض العناصر أو علاقاتها إلى تغيرات في أجزاء أخرى من المنظومة، وتتضمن المنظومة خصائص وأنماط سلوك مختلفة عن التي في المجموع الكلي للأجزاء ذاتها، وتحوي هذه المنظومة أنساق مدركة (معارف) وأنساق مدركة (الذات العارفة) ولا تسعى إلى الفصل بين الذات والموضوعات، فالمفاهيم في نظرها لا تعود للمواضيع المدركة فقط، بل للذات المدركة أيضاً، فحتى أشد المعارف فيزيائية تخضع لمحددات انتربولوجية اجتماعية، والمنظومة ذاتية الانتظام في هياكل تزداد تعقيداً وتطوراً ودقة مع الزمن، ومن سماتها أنها ليست قطعية بالكلية ولا عشوائية مما



فالمنطق الأرسطي يرى أن المقولة لا بد أن تكون إما صادقة أو كاذبة، بيد أن المنطق الضبابي يرى أن المقولة صادقة أو كاذبة بنسبة ما

وتجدر الإشارة في النهاية إلى أبعاد الاستراتيجية السبعة عشر كما حددها الاستراتيجي كولن غراي وهي: "الأفراد، المجتمع، الثقافة، السياسة، الأخلاق، الاقتصاد، الإمدادات اللوجستية، المؤسسة، الإدارة، المعلومات والاستخبارات، النظرية الاستراتيجية والعقيدة، التقنية، العمليات، القيادة، الجغرافيا، التوجس، الخصوم، والزمن، وهذه الأبعاد يجب أن تؤخذ بعين الاعتبار بكليتها، أي احتساب كل بعد منها منفرداً دون إغفال أي منها، مع احتساب تأثير البعد الواحد في سياق علاقاتها بالأبعاد الأخرى" [٧].

وأخيراً:
"فالاستراتيجية تمقت الفراغ، إذا كانت الرؤية الاستراتيجية غائبة، فإن التأثير الاستراتيجي سيتولد بفعل التراكبات العشوائية للنتائج التكتيكية والعملية" [٨].

المراجع

[1] André Beaufre: An introduction to strategy (london, Faber & Faber 1965) p:22.

[٢] ي. درور : استراتيجية كبرى لإسرائيل (القدس اقدمون، الجامعة العربية ١٩٨٩).

[٣] الاستراتيجية ومحترفو الأمن القومي - هاري آر يارغر. ص:٥٥.

[4] Manus J. Donahue III : An Introduction to mathematical chaos and fractal geometry.

[5] Bernard Brodie: War and politics (New York, Macmillan) p:453.

[6] John Lewis Gaddis :The landscape of history: How Historian map the past (Oxford U. press 2002) p:71 – 90.

[7] Colin.S. Gray: Modern strategy.p:23 – 43.

[8] Colin.S. Gray: Modern strategy.p:50.